وتين: رواية
الكاتبة: ولاء عماد
تصميم الغلاف: إيمان محمد
تدقيق وإخراج فنيّ: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 5591/ 2018
الترقيم الدولي: 0 - 027 - 844 - 977 - 978

دار بنت الزيات للنشر والتوزيع :Facebook Page
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

رئيس مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار بنت الزيات
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

وَتِينُ

الكَاتِبَة

وَلَاءُ عِمَادْ

سلامٌ طيبٌ مباركٌ فيه على كل من رأى
دمعتي بركانًا لا ماء يسقيه فكانوا كالطير حلقوا
بما تبقى من جداري الهش فوق قوس قزح
مطلقين العنان لدولة بها روح طفولة.

* * *

الكهل العجوز

الحب يا صغيرتي ألم، طريق الورود شذارات من الزجاج، فلقد نسيت وتناسيت أن صاحبة العشرين عامًا أحبَّت الوجع الذي لم يكن لي من قبل وصممت على المرور فوق أحزاني.

عبرت طريقًا كنت أعلم جيدًا أن نهايته سراب حاول الكثيرون أن ينتشلوني منه ولكنني لم أسمع لهم، كنت أعمى البصر والبصيرة، ولم يتبقَ غير عكاز ومحاولة فاشلة للبحث عن طريق به بصيص من النور، تاركة ورائي ظلام دامس.

وعندما حاول الكثير التقليل من شأني توقفت للحظات بسيطة أخبرهم بأن لي حياتي ولهم حياتهم ...

اليوم !

سأخبركم بما جئت به إليكم فاسمعوني يحفظكم ويحفظ قلوبكم.....

* * *

مريم

صاحبة العقدين ذات العيون الخضراء والوجنتين الساحرتين تمتلك وجه البدر في تمامه، مسكين ذلك الوجه الصغير الحزين.

ترعرعت داخل أسرة متوسطة الحال وحيدة ليس لها إخوة فحظيت بالكثير من الرعاية والحنان في كنف والديها.....

لم تمر بتجربة حب من قبل فكان الحب يشبه اللغز التي تريد أن تعرف عنه المزيد.

في خريف 2011 ذهبت مريم إلى الجامعة في الصباح حيث تدندن العصافير لم يعلم أحد أن هذا صوت بكاء وليس دندنة ويحمل الهواء سمفونية حزينة حيث كان يصدح القلب متغنيًّا ببعض الخفقات التي كادت أن تقتلع قلبها.

كان يومًا شديد البرودة حيث يلامس الهواء وجنتيها الناعمتين وأصبح الهواء مزعجًا حيث تطايرت ملابسها وظهر على وجهها الهدوء والحزن مثل الطفل اليتيم الذي يختلس النظر إلى كل أم على أنها أمه.

أصبحت نظراتها تذهب إلى هنا وهنالك تبحث عن شيء ولكنها تجهل هويته، أين الهوية؟ أسرقها لص؟ أم أنها تعيش في نواة الأرض حيث تكن البراكين ولا يقوى أحد على الوصول إليها.

كان صباحًا مختلفًا حيث الشوارع المليئة بوريقات الشجر المتساقطة، جاءت اللحظة الفاصلة التي ستغير مجرى حياتها رأسًا على عقب، لحظة رؤيتها لشاب وسيم يدعى يوسف صاحب العيون البنية ذا العضلات المفتولة والجسم الرياضي الممشوق القوام صاحب الاثنين والعشرين عامًا.

كانت لحظة فاصلة في كونها مريمية، كان شعورًا مختلفًا لم تقدر أن تصفه أو يقاومه قلبها أو يستوعبه عقلها.

أكملت طريقها للهروب من ذلك الشعور، كان شعورًا مختلفًا يداعب قلبها خوفًا على عفتها وطهارة روحها بأن يدنسها أي مار غريب، جلست في مكانها المفضل في حديقة الكلية ثم اتجهت إلى المحاضرة.

ظلت تائهة بين شعور غريب دق باب قلبها لأول وهلة وما زالت تلك اللحظة معلقة بذاتها تمنت أن تسقط أو تتلاشى.

كان شخصًا غريب الأطوار ولابد أن شيئًا جذبها إليه دخل قلبها بدون استئذان هو نسيم بارد لا يعرف سبيله فيصيبها في لب قلبها، يمر يومها الدراسي وتغادر على غير المعتاد حزينة كئيبة توشك الدمعة أن تفر من

عينيها هاربة من سجن الكتمان إلى سجن آخر؛ غرفة وأربعة جدران، استيقظت مريم على صوت إحدى رسائل الهاتف الواردة سلمى رفيقة درب مريم التي لم تكن تخفي عنها شيئًا.

- أين أنت يا مريم؟ بحثت عنكِ في الجوار البارحة ولم أجدك أين ذهبتِ وتركتِني؟ لم أعتد ذلك منك، ما بك يا وتيني؟

- حزينة يا سلمى ولم أشأ أن أعكر صفوك.

- اخرسي يا بلهاء ألا تعلمين أنك صديقتي المفضلة، ووتيني الذي لن ينقطع يومًا....

- عذرًا يا سلمى والدتي تناديني حتى أتناول فطوري أغلقت مريم الهاتف ودموعها تسيل كالنهر على وجنتيها مثل نهر جاف قد أتى إليه الفيضان.

* * *

صالة البيت حيث الستائر المتدلية داكنة اللون حيث كل شيء يدعو إلى الكآبة، سمعت مريم جرس الباب أسرعت نحو الباب، كان قلبها يشعر ببعض قطرات من الأمل يتدفق داخل ثنايا روحها بالفعل، فتحت الباب وفوجئت برؤية عمتها وجدان.

- كنت أعلم بأنك تشعرين بي يا عمتي.

- لأجل ذلك أتيت يا صغيرتي.

فقابل الأب والأم وجدان بالقبلات الحارة والأحضان والسلام الذي دام لوقت طويل بعد سفر وجدان.

جلسا يتناولان الفطور سويًّا، تختلس وجدان النظر إلى مريم، ما بك؟

وقع السؤال على مريم كالصاعقة وبدأت تتمتم بالكلام غير المفهوم:

- لا شيء عمتي، إني بخير.

- أعلم أنك بخير ولنا حديث سويًّا.

* * *

الشرفة

كانت مريم تسقي الورد الذي يشبهها، شاردة في ملكوت الله حزينة كعازف ضل الطريق بعقله فيعزف مقطوعة القلب المدنسة بتنهيدة الآه، قاطعت شرودها وجدان:

- مريم أين أنت؟

- هنا عمتي أسقي الورد.

- ما بك؟

- لا شيء عمتي كل شيء على ما يرام.

- ولكن عينيكِ تخبراني بشيء آخر يا فتاة.

ساد الهدوء على ملامح مريم مرة أخرى

- حسنًا اسمعيني يا مريم سأخبرك بشيء لم أخبر به أحدًا

التفتت مريم بجدية.

- عندما كنت في مثل سنك كنت أحب دراستي مثلك ولم أهتم بشيء آخر وكنت دائمًا أهرب من الحب، أحبني شاب معي في الجامعة، كنت في الفرقة

الأولى وهو في الثالثة يدعى أحمد، كنت دائمًا أهرب من نظراته الثاقبة التي كانت تصيب قلبي بالجنون.

قلقت على دراستي ولم أهتم بهذا الشعور الذي يخالج قلبي.

وفي أحد الأيام كنت في مكتبة الكلية وسمعت صوتًا ينادي عليَّ فالتفتُّ فإذا به يأتي في اتجاهي كان يظهر على ملامحه الجدية وأن هناك أمر هام يريد أن يخبرني به.

حاولت أن أهرب من نظراته وخفقات قلبي التي تتوالى، حاولت الهرب فلم أستطع؛ كان هناك شيء يخبرني بأن أنتظر وأسمعه لأتحصل على إجابة لكل تساؤلاتي التي خالجت قلبي منذ زمن بعيد.

شعرت بأن قلبي يخفق بشدة وتصحبني قدماي لأجلس معه فإذا بشفتيَّ تسابق عيني لإخباره أنني معجبة به، كنت في حالة لم أكن بها من قبل عندما جلست معه، تلاشت كل تساؤلاتي وأربكتني حيرتي ولم أستطع أن أتحدث إليه، قاطع نظراتنا صوت الهاتف مكالمة من أحد أصدقائه ثم ذهبت حيرة عينينا لبعيد، وبعد انقضاء المكالمة التي استمرت لدقيقتين إذا به يخبرني أنني سوف أكون معه منظمة لإحدى الرحلات الصيفية التي ستقوم بها الجامعة ولكنني قابلت الموضوع بالرفض.

لا أعلم وقتها لماذا رفضت؟

لماذا عندما دق الحب بابي لم أستجب له؟

لماذا أخذتني قدماي للجلوس معه؟

غادر أحمد وكانت ملامحه تبدو حزينة تارة وتارة أخرى غاضبة، أردت أن يتوقف بي الزمان، أردت أن تمطر السماء لتطهر روحي وعقلي من تساؤلاتهما المستمرة التي كادت أن تقضي عليَّ.

خرجت غاضبة من المكتبة متجهة إلى علياء صديقتي لأخبرها بكل ما حدث وكان البوح على غير عادتي ولكنني أردت أن أتحدث ليستريح قلبي.

- هل أنتِ مجنونة يا وجدان؟ هذا أحمد الذي تراقبيه بعينيك بحق الإله؟ لا أصدق.

لم أشأ أن أخبرك بسبب تأنيبك المتوقع لي ولكنني أخبرتك لتنخفض وطأة ذلك الشعور المؤذي الذي يداعب قلبي من حين لآخر.

- حسنًا لا تغضبي يا وجدان ولكنني حزينة على ذلك التصرف الهمجي.

- ماذا أفعل ياعلياء؟

أخبريه بأنك تحبينه يا وجدان.

- هل أنتِ مجنونة يا علياء لن أفعل ذلك حتى لو بلغت آهاتي عنان السماء لن أقدم على فعل شيء كمثل هذا لن أقبل بأن أقلل من كرامتي معه

- إذن دعي كرامتك تفيدك.

وإذا بأمجد صديق علياء ينادي عليها فودعت علياء وجدان وغادرت معه.

جلست وجدان على الأريكة في إحدى حدائق الجامعة فإذا بها تلمح أحمد من بعيد قادم تظهر عليه ابتسامة عريضة تملأ وجهه ولكنه كان يتبادل الابتسامة مع صديقة له.

أصبحت الغيرة تتملك قلبها وغضبت من نفسها وشعرت بتأنيب قلبها كي لا يشعر بذلك الشعور فهو قلبها وملكها؛ إذن ليس لأحد الحق به، لماذا يحزن كل ذلك الحزن؟ ولماذا تشعر ذلك الشعور الذي يداعب قلبها؟ ثم غادرت الحديقة كالمطر الذي يودع فصل الشتاء.

رن هاتف وجدان.

- علياء: أين أنتِ يا وجدان؟

- في البيت.

- سنذهب سويًا إلى كافيه أخبرني عنه أمجد وقال أنه جميل وغير مكتظ بالناس حيث الإضاءة الخافتة والموسيقى الهادئة التي تحبينها.

- لا أريد، اذهبا واستمتعا بوقتكما.

- حسنًا اذهبي للعالم الخيالي الخاص بك....

عادت وجدان إلى النوم حيث الحزن يخيم على غرفتها وذبلت روحها وأصبح الاكتئاب صديقها الوفي، أصبحت الساعة الثامنة مساء حيث استيقظت

من النوم الذي شبهته بالغيبوبة أخذت حمَّامًا باردًا، كانت المياه تشبه الطلقات النارية التي تثقب قلبها وجسدها الرقيق، ثم خرجت فإذا بقدميها تسير نحو المكتبة الخاصة بأبيها فوجدت كتابًا بعنوان "الحب ألم"

كانت رسالة غرامية كتبها أبيها لأمها ومضمونها "أخاف عليكِ من هواء يداعب وجنتيك يازوجتي، أغار عليكِ من كل مار غريب يراكِ وأنا الأحق برؤيتك ولا أراك.

كانت رسالة قد مر عليها زمن كتبها والدها لأمها عندما كان مسافرًا

كانت تلك الرسالة بمثابة أمل يسيري داخل ثنايا روحها التي ذبلت منذ أمد بعيد.

أفاقت وجدان على صوت رنين الهاتف وكانت علياء تخبرها بأنها تنتظرها أسفل البيت للذهاب معًا إلى الجامعة.

عند خروجها من غرفتها فوجئت بصوت رسالة واردة كان مضمونها "هل اشتقتِ إليَّ يا فتاتي؟" ذهلت وجدان من مضمون الرسالة، قاطع شرودها صوت جرس الباب وكانت علياء.

- هيا يا وجدان لقد تأخرنا على المحاضرة الأولى، ذهبت وجدان وكانت في حالة حيرة وذهول من تلك الرسالة التي لم تعلم من أرسلها.

* * *

"في المحاضرة"

- وجدان؟.. وجدان؟

- نعم يا علياء.

- أين أنت؟ شاردة قد انقضت فترة المحاضرة هيا بنا نحتسي كوبًا من الشاي الممزوج بالنعناع.

- حسنًا.....هيا بنا.

- تنظر وجدان يمينًا ويسارًا، هنا وهناك وقد لفت نظرها جملة مكتوبة على أحد الجدران "هل اشتقتِ إليَّ يا فتاتي؟."

ظلت عيناها محدقة على تلك الجملة، شاردة الذهن فيما قرأته على أحد الجدران التي تلاحقها من مكان لآخر.

- علياء: ويجو هل قرأتِ المنشور المعلق على بوابة الجامعة؟

- وجدان: لا، ما هو؟

- ندوة ثقافية والمتحدث الرسمي بها أحمد، هل ستحضرين معي تلك الندوة؟

- اذهبي أنتِ يا علياء لا مكان لي فيها.

تجلس علياء ووجدان في الشرفة معًا حيث يحتسيان كوبًا من الشاي الممزوج بورق النعناع حيث السماء صافية وتزينها النجوم وتقرأ وجدان إحدى رواياتها فيقطع تركيزها صوت علياء "هل اشتقتِ إليَّ يا فتاتي"

توقفت وجدان عن القراءة وقالت:

- كرري ما قُلتِه يا علياء.

- هل اشتقتِ إليَّ يا فتاتي؟

- أين سمعتِ تلك الجملة يا علياء؟

- قالها أحمد يا وجدان في الندوة الثقافية وما زالت معلقة بلساني.

- متأكدة أن أحمد هو من قال هذا؟

- أجل يا ويجووو.

حينها شعرت وجدان بإحساس لم تشعر به من قبل لأول مرة دق قلبها وفرحت ملامحها الكئيبة حيث تعالت صوت ضحكتها فاستغربت علياء

- لماذا تضحكين يا وتيني؟

- لا شيء.....لقد استقر شتات قلبي وحيرة عقلي يا علياء وقد جاء الصباح المشرق المليء بالأمل.

ذهبت علياء إلى الجامعة وهي تلمح أحمد من بعيد آتٍ في اتجاهها يضحك ضحكة هادئة قد خطفت قلبها للمرة الثانية فابتسمت وجدان أيضًا وكانت أول مرة يرى أحمد ضحكة فتاته العابسة، كانت أول مرة يضحك فيها القمر خيمت أجواء السعادة على ملامحهما.

- أحمد: هل اشتقتِ إليَّ سيدتي؟

- نعم اشتقت وبشدة، اشتقت لروحي المفقودة لطريقتك في نطق اسمي، للطفلة التي بداخلي اشتقت إلى أحمد.

ولم تستمر لحظات السعادة طويلًا وقال لها أحمد أنه مسافر إلى باريس ليكمل دراسته وليأخذ الدكتوراة، فظهر الحزن على وجدان ولكنها تقبلت الأمر بهدوء حتى لا يغضب أحمد بعدما رأت ابتسامته تعود إلى شفتيه من جديد، مرت اللحظات الممزوجة بالفرح والحزن ودقت ساعة الفراق بابهما

* * *

- أحمد: وجدان، كيف حالك؟

- بخير

- إذن ستأتين إلى المطار في السابعة مساء لتودعيني؟

لم تجبه وجدان فكانت كبركان أصم أبكم.

- أريد أن أراكِ للمرة الأخيرة يا وجدان.

لم تجبه أيضًا.

- حسنًا يا وجدان سأنتظرك؟

* * *

"في المطار"

دقائق ترحل وتبعثر التقاء القلوب، انتظار لا جدوى منه، لم تأتِ، حاول أحمد أن يتصل بها ولكن الهاتف كان مغلقًا مرارًا وتكرارًا اضطر أحمد للمغادرة عندما سمع النداء الأخير للطائرة، النداء الأخير لآخر دقة، لم يتبق شيء ورحل.

ودع أحمد المدينة بالحزن حيث فقد الأمل المتعلق بالمدينة وهو رؤية وجدان للمرة الأخيرة.

في الثامنة صباحًا جاءت إحدى الرسائل الواردة فأسرعت وجدان ظنًّا منها أنها من أحمد ولكن فوجئت برسالة من علياء تخبرها بأنها تنتظرها في الكافيه القريب من منزلها.

ذهبت وجدان لرؤية علياء، تخرج علياء رسالة من حقيبتها وتقدمها لوجدان.

- لقد ترك أحمد تلك الرسالة معي، أخذت وجدان الرسالة مسرعة تجاه الباب وجلست داخل سيارة "علياء"

كانت ليلة ممزوج بقطرات المطر وبعض من الاشتياق

بدأت في قراءة الرسالة:

"سلام الله على قلبك يا بنية قلبي، أحصن قلبك بأسماء الله الحسنى أن لا يسكنه غيري وأن يجعلك من نصيبي.... أعلم أنك غاضبة مني ولكن الأمر ليس بيدي.... أردت أن أراك قبل أن أذهب ولكنك لم تأتي لتودعيني، أعلم أنك لا تحبين مراسم الوداع ولكن كنت أريد أن أهديك هذا الخاتم فارتديه".....

غادرت الفرحة وجدان كما تغادر هي منزلها إلى الجامعة وعاشت على أمل رؤيته من جديد مرة أخرى وظلت تدعو الله أن يجمع بينهما في القريب العاجل.

وأيضًا أنهت حديثها مع مريم بعد الحديث الطويل الذي دار بينهما في الشرفة

وقالت:

- اسمعي يا مريم.

الحب كالضيف يجب أن نحسن ضيافته ونفتح له ذراعينا إذا أتانا حتى لايمل منا ويذهب.....

الحب داء ودواؤه الرضا، وإن عارضناه سنصبح ضحيته

كما أصبحت أنا ضحيته.

- كيف أصبحتِ ضحيته يا عمتي؟

- عندما نكابر يا مريم وننكر الاعتراف به ونظنه سيقضي على كرامتنا.....

الحب معناه الكرامة فلا تظني يومًا أن الاعتراف به سيقلل من كرامتك أو من شأنك بل سيرفعكِ إلى أعلى درجات ويسمو بروحك لأعلى المراتب فكرامتك من كرامة ضيفك لذا يجب حسن الضيافة"

الحب ليس حرامًا إنما الحرام غرس نبتة من الألم في قلب لم يستطع التخلص منه فإياكِ ثم إياكِ أن تزرعي ألمًا في قلب الضيف.

اجعلي الحب يا مريم يسري بين ثنايا روحك حتى تشعري بالفرحة اجعليه يضيء حياتك الحب ليس ضعفًا.... وإن أحببتِ اجعليه دنياكِ وأغلى ما تملكين يا بنيتي.

شكرت مريم عمتها وجدان لأنها قد أتت في الوقت المناسب ثم عانقتها وجدان فقالت لها "البنت وردة من غير ري تموت ومياه الحب الاهتمام" اسقي قلبك.

قررت مريم أن تذهب لزيارة بيت جدها، كانت ليلة ممطرة اشتدت فيها العاصفة، ارتدت وشاح عمتها وذهبت حيث يأتي صوت من بعيد ينادي "آنستي" لقد تركتِ وشاحك في التاكسي معي.....

- شكرًا جزيلًا.

عند صعودها للسلم كانت روحها تائهة ويزداد صوت نبض قلبها كلما صعدت درجة من درجات السلم، قرعت الباب فتح لها "محمود" ابن خالها وهو يكبرها بحوالي عامين.

- مريم كيف حالك؟

- أين جدتي؟

- ذهبت عند الجارة الجديدة تبارك لها على سكنها الجديد.

- حسنًا يا محمود.

جلست مريم أمام صورة جدها المتوفى الذي كان يحكي لها الحواديت والحكايات الشعبية المتوارثة المنقولة شفاهي وكيف تعرف على جدتها وقصة حبهما، لقد اشتقت إلى جدي.....ثم غادرت بعدما تأخرت جدتها عند الجارة الجديدة

ذهب وراءها محمود، نادى عليها مرارًا وتكرارًا لكنها لم تجبه.

- مريم؟

- مريم؟

- أجل يا محمود

- ما بك يا مريم؟

- ليس بي شيء يا محمود لقد اشتقت لجدي وطفولتي لا أكثر....

وإذا بصوت محمود يقاطع شرودها

- أنا أحبك يا مريم، ولم تتح لي الفرصة لأخبرك بحبي من قبل، هل تتذكرين يا مريم عندما كنا نلعب معًا منذ صغرنا لعبة "الغميضة".

لم تجبه أيضًا هذه المرة وفرت، حيث ذهبت لبعيد جدًّا وتركت محمود وراءها تحت المطر.....

تعجب محمود من موقف مريم...

ظلت التساؤلات تلازمها أنا أحب يوسف أم لا؟

ومحمود؟

لم تصدق أن لعبة الطفولة ستتحول لحقيقة في ريعان الشباب

ويقول محمود كم عشقت ابتسامتك يا مريم.... كم وقعت في حب عينيك التي تشبه الفلك المليء بالمجرات

غادرت مريم وأيضًا محمود...

عند ذهابها الجامعة في الصباح فوجئت بامرأة عجوز تنادي عليها وتقول لها:

- هل ما زلتِ تمشين على شذرات الزجاج؟

- من أنتِ؟

- أنا الحب.

- وماذا تريدين مني؟

- أريدك أن تفتحي الباب للضيف.

- أي ضيف.....وماذا تقصدين ؟

- الحب.

- إذن وما هو الحب؟

- الحب زهور لافندر، بنفسجي الهوى، حديقة عبقت بشذا الأزهار، حبات مطر على أرض بور جفافها شقق أرضها فارتوت بماء زمزم وطافت بطهارة الأرواح ما بين الصفا والمروة ومستقرها على باب قدس.

- أخبريني أيتها العجوز هل أحببتِ من قبل؟

- أجل، لكن الفراق دق بابي قبل أن أفتح للضيف.

- كيف؟

- كان شابًّا وسيمًا جدًّا من أعيان بلدتي أول دقة من قلبي كان هو مالكها، قلبي كان متعلقًا به وحزني أيضًا، ظننته القشة التي ستنقذني من الغرق ولكن والدي كان عاملًا بسيطًا عند والده وعندما علم أبيه أن ابنه يحبني قام بطرد أبي وغادرنا البلدة وعلمت بعد ذلك أنه سافر بعدما غادرنا البلدة، قابلت أحد أصدقائه وقال أنه قد مل انتظاري ثم تعرض إلى حادث وجن والده، وأنا الآن أنتظر موعد رحيلي إليه.

- لماذا أنا يا عجوز أخبريني؟

- لأنني رأيت نفسي في عينيكِ منذ زمن بعيد وأريدك أن تبلغي حبكِ لا تضيعيه مثلما ضاع مني.

- لقد حان وقت رحيلي انتظريني سأنتهي من محاضرتي وآتي إليك.....

كان هناك معرض للكتاب ومريم تحب القراءة كثيرًا، تركت المحاضرة لتقرأ بعض الروايات وفجأة يدها وقعت على رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" للكاتبة أثير عبدالله النشمي ومن الناحية الأخرى يد يوسف تقع على نفس الرواية وتقابلت عيناهما للمرة الأولى...

- آسف

- أعجبتني تلك الرواية ولكن إن كنت تريدها لا بأس.

- يوسف لا مشكلة...إنها من حقك احتفظي بها لدي نسخة أخرى في البيت ولكن أحببت أن أشتري واحدة أخرى لإعجابي الشديد بها، غادرت مريم يوسف والفرحة تداعب عينيها دفء لمسة يده للمرة الأولى ينتشر داخل ثنايا روحهما حيث كان مكتوبًا

"تجري الأيام مسرعة أكثر مما ينبغي "

ظننت بأننا سنكون في عمرنا هذا معًا وطفلنا الصغير يلعب بيننا، لكنني أجلس اليوم أندب أحلامي الحمقاء، غارقة في حبي لك ولا قدرة لي على انتشال أحلامي من بين حطامك، أحببتك أكثر مما ينبغي وأحببتني أقل مما أستحق.

وقعت تلك الكلمات على مريم مثل الصاعقة وتذكرت كلام عمتها والعجوز بأن الحب مثل الضيف يجب مواجهته، خافت أن تمر بها الأيام مسرعة، خافت أن يظل حب يوسف في قلبها فقط وهو لم يعرف عنه شيء فتصبح ضحية الحب حيث أسرعت متجهة إلى المكتبة حيث أنه المكان المفضل لديها ولدى يوسف، أصبح قلبها مليئًا بالحيرة، هل تعترف ليوسف أم تخفي حبها داخل ضلوعها، فقررت الاعتراف والاستسلام لشعورها قالت له:

- قد جعلتك يوسف منذ رؤيتي لك أول مرة فهل تجعلني مريمتك.

- هل تقبلين أنت أن تكوني مريمتي.

خرجت من المكتبة يتراقص قلبها ثم غادرت من بوابة الكلية فوجئت برؤية العجوز تنتظرها كما وعدتها لأول مرة ترى العجوز ابتسامة مريم.

قالت العجوز لمريم:

- هل أكرمتِ الضيف؟

- نعم أكرمته وجعلت جمال يوسف خاصًّا بي وحدي وكما رد الله بصر يعقوب برؤية يوسف رد الله إليَّ بصيرتي التي فقدت منذ زمن بعيد وجعلته ضيفي وأكرمته أيضًا.

فرحت العجوز وودعتها مريم بقبلة على جبينها....

قالت العجوز بعد رحيل مريم: أخاف عليكِ يا بنيتي من الفراق.....

* * *

حبة كريز

بعدما مرت تلك اللحظة الجميلة على مريم التي جعلها يوسف ملكًا له قررت مريم أن تترك يوسف وتعود للبيت مرة أخرى حيث تجد الدفء من جديد وترى ابتسامة والدها التي تحيي فيها الأمل من جديد وحضن والدتها ونصائح عمتها "وجدان".

دخلت مريم البيت فوجئت برؤية محمود ابن خالها يجلس مع والدها حيث هبت نسمات عطرها ولأول مرة يرى محمود لمعة مختلفة في عين مريم لم يرها من قبل.

- كيف حالك يا محمود؟

- بخير وأنت؟

- بخير.

تسارعت مريم في خطواتها متجهة لباب غرفتها للهروب من أسئلة محمود ومن إجابته على السؤال الذي طرحه من قبل....

- هل تحبيني مثلما أحببتك؟

السؤال الذي لم تجد له إجابة واضحة لأن شعورها يميل إلى يوسف فقط فذهبت إلى منقذها الوحيد عمتها "وجدان" فإذا برسالة تدق باب هاتفها "أريدك حلالي" كان يوسف المرسل.....

كانت تلك الرسالة ردًّا على سؤال محمود كان بمثابة حكم البراءة الذي يلفظ به القاضي على بريء ظنه البعض مجرمًا، شعرت بفرحة غريبة تغمس فيها روحها شعرت بأن لها جناحان تريد أن ترفرف بها لتقف على شرفة يوسف، شعرت أن أبواب السماء مفتوحة تنتظر دعاءها لتلبي حاجتها.....

قطع ذلك الشعور نداء أمها لها لتناول العشاء، خرجت مريم من غرفتها تاركة الرسالة المبهجة وأحلامها الوردية حيث سريرها المرتب والستائر البيضاء التي توحي لها بالبهجة عندما يأتي الصباح وتتدلى عليها خيوط الشمس الذهبية وعندما تودع الغيوم الشمس في الغروب.

بعينين لامعتين ووجنتين ورديتين وشعر أسود متدلٍ على ظهرها جلست بجوار أبيها فهي فتاته المدللة حبة كريز أبيها المفضلة تناولت العشاء، تارة تنظر لإبيها وتارة أخرى لأمها وعلى الجانب الآخر نظرات محمود لها الغير مريحة حيث لاحظت وجدان نظراته لها، تعجبت من محمود.

عند الانتهاء من العشاء كالعادة ذهبت مريم إلى الغرفة لتقوم بعمل بحث علمي قد كلفتها الجامعة به والذي طلبه منها الدكتور "عادل" فإذا برسالة أخرى تدق الهاتف للمرة الثانية "أريدك حلالي"

لم ترد أيضًا على الرسالة.

دقت وجدان على باب غرفة مريم بضحكة مرسومة على شفتيها وعينين واسعتين يحرسهما حاجبان عريضان.

- مريم أخبريني كيف حال يومك الدراسي؟

- كان جميلًا يا عمتي.

- أرى ابتسامة تعلو شفتيك يا مريم...

- أجل يا عمتي.

- أخبريني، ما السر يا فتاة؟

- لقد قابلت الضيف ورحبت به يا عمتي.

- حقًّا يا صغيرتي؟!

- أجل يا ويجووو.

- لأول مرة مريم تنادي وجدان ب "ويجو" حيث تذكرت علياء صديقتها، فرحت وجدان بنداء مريم لها بهذا الاسم....

- إذن لقد اطمأن قلبي عليكِ لكن أريد أن أقول لكِ شيئًا.

- أجل عمتي..... أخبريني..

- لقد رأيت منذ قليل ما يزعجني على مستقبلك وحياتك رأيت نظرات محمود الغير مريحة إليكِ.

- أجل عمتي أعرف.

- امممممممم.....ماذا تعرفين؟

- لقد أخفيت جزءًا من حكايتي عنك عمتي.

- حسنًا...ما هو؟ أخبريني.

- هل تتذكرين الليلة التي كنت بها حزينة وذهبت إلى بيت جدي لأستعيد ذكريات طفولتي ورائحة الماضي هل تتذكرين تلك الليلة؟

- أجل أتذكر يا طفلتي.

- تلك الليلة أخبرني بها محمود أنه يحبني ولكنني هربت من سؤاله ونظراته الغير مريحة إلى...

- لماذا لم تجيبيه عزيزتي؟

- لا أعرف.

- كانت تتملكني بعض الحيرة والشك من ناحية يوسف ومن ناحية الكلمة المفقودة التي أريد أن أسمعها منه "أحبك" كنت تائهة لدرجة امتزاج أفكاري بعواطفي وفقدت القدرة على تحديد شعوري كان إحساسي يتأرجح بين هنا وهناك بين عقلي المعلق بفكري الذي أرهق قلبي كنت شبه تائهة بين أول إحساس يواجه قلبي البريء، كان حبيسًا في قفص يسمى ضلوعي، فانتظرت ضلوعي تسمح لقلبي بالطيران مثلما يسمح السجان للعصفور بالحرية....

كنت أختبر حياتي وحدي وأبحث في ثنايا روحي عن علاج يقبله قلبي ولا يعارضه عقلي... كنت أحاول وما زلت أحاول أن أحسم قراري وكنت أريد أن أخرج من جدران غرفتي وسجن كآبتي.

وموسيقاي التي عزفها عاشق عند فراق حبيبه كانت إحساسًا مثل موت أول طفل حلمت به أم لمدة عشر سنوات من زواجها كنت مثل طفل يرغب الحلوى ولكنه فقير لا يملك مالًا لشرائها كنت كقصيدة كتبها نزار وسهر طوال الليل في كتابتها فانسابت عليها قهوته.....

أجل يا عمتي حتى لحظة لقائي بيوسف كنت لا أعرف كيف أحدد هويتي ولا سبب مجيئي لتلك الحياة حتى قابلت مبتغاي وأصبح لدي هدف أعيش من أجله وأصبحت ضلوعي على وشك السماح لقلبي بالفرار من سجنه.

- كفى يا مريم كفى.

لقد جعلتِ دموعي تسيل مثلما سالت لفراق أحمد.. حيث غادرت روحي جسدي.

اسمعي يا حبيبتي الحب عطاء ولا يعطي إلا فاقد تلك النعمة لأنه أشد المحتاجين إليها فأحبي وأطلقي العنان لقلبك الصغير.

الحب يا مريم ليس شهوة والمرأة ليست جسدًا فلا تسمحي لأحد بأن يقلل منك أو ينظر إليكِ نظرة لا ترضيكِ فأنتِ تستحقين كل جميل وجميل" أنتِ فتاة.....أنتِ فراشة...أنتِ حورية....أنتِ جنتي يا فتاة"

اجعلي لك آية في كل مكان وبسمة تهدي قلبًا حائرًا ليعود لطريقه الذي ضله أنتِ ملكة تملكي قلبك فلا تهديه إلا لحر يقدره فلا تقبلي بأقل من حقك المعتاد أنتِ حبة كريز أبيكِ فلا تجعلي قلبه حزينًا بل اجعليه فخورًا بك، هيا يا جميلتي اخلدي للنوم، ليلة سعيدة لم تمر هذة الليلة على مريم وأيضًا على وجدان التي تذكرت قصة حبها البائسة وقلبها الذي فقدته منذ رحيل "أحمد" وأصبح شبه مستحيل أن يجمعهما الله، شعرت وجدان بالبرد القارس في تلك الليلة كما شعرت بها روحها عندما قابلت أحمد في المكتبة أول مرة كان شعورًا مختلفًا وصفته بالمطر في يوم حار، فقامت مسرعة متجهة إلى دولابها وأخرجت شالًا لأمها والحنين إلى لمسة يديها ودفء حضنها حيث غلبها النوم فإذا بصوت خافت في أحلامها قائلًا "هل تشتاقين إليَّ؟"

قامت من صحوتها مفزعة خائفة وعلى لسانها نعم اشتقت إليك قامت مثل المجنونة تبحث في مذاكرتها القديمة في أحد أدراج مكتبها لتبحث عن أي ورقة مكتوب عليها أي دليل يقودها لأحمد ولكنها لم تجد.

تذكرت أنها لم تذهب لرؤيته قبل سفره سالت دموعها ولكن كان هناك بصيص أمل عند إغلاقها المذكرة وقع الخاتم الذي كان أعطاه لعلياء لتعطيه لها، مرت تلك الليلة المشؤومة على مريم ووجدان بما جاءت بما تحمله من أرشيف للذكريات...

في اليوم التالي ذهبت مريم إلى الجامعة وودعت الليلة الماضية حيث فتحت لها شعاعًا من النور.

- في الجامعة، سلمى، كيف حالك يا وتيني؟

- بخير، وأنت كيف حالك؟

- هيا بنا إلى المحاضرة؟

- حسنًا.

كان دكتور عادل بشوشًا ذا لحية خفيفة يبلغ من العمر سبعًا وعشرين عامًا كانت محاضرة غير أساسية أعتذر دكتورها الأساسي عن الحضور....

فضَّل الدكتور عادل أن يدردش مع الطلبة في أمور حياتهم حيث القاعة ممتلئة بالطلبة فاندهش وقال بلهجة ساخرة أعلم أن كانت محاضرة أساسية فلن أجد إلا القليل منكم، ما سر حضوركم؟

رد أحد الطلاب:

- نحبك ونريد أن نستفيد بخبرتك من الخارج

- حسنًا، سأطرح عليكم سؤالًا.

قابل الطلاب الكلام ببشاشة وقبول....

- ماهو الحب بالنسبه إليكم؟

اندهش الطلاب من طريقة السؤال فهناك طلبة لا يعرفون الإجابة والبعض ليس متأكدًا فوقف أحد الطلاب قال:

- الحب مثل النبتة الصغيرة يجب أن نرعاها لتنمو.

رد الدكتور عادل وما هي الطريقة التي تجعلها تنمو

- لا أعرف.

رد آخر بالاهتمام يا دكتور

تعجب الدكتور قائلًا أصبت، إنه الاهتمام وحده القادر على أن ينمي تلك النبتة الصغيرة لتكبر أنه بمثابة الروح التي تنفخ في الجسد الروح إذن الاهتمام حياة النبتة.

- هل من رأي آخر؟

رفعت سلمى يديها أجل يا دكتور صديقتي مريم لديها خلفية عنه فهي أيضًا تحب الروايات الرومانسية والكتابة فأظن أن لديها رأي آخر.

شعرت مريم بالخجل لأنها أصبحت أمام إجابة لسؤال يعتبر مصدر من مصادر الخجل النفسي لديها وقفت لتجيب على السؤال وروحها وقلبها يرتجفان من طريقة السؤال المفاجئ التي وقع عليها كالصاعقة فتمالكت نفسها وجمعت شجاعتها وقالت:

- الحب ضيف إن جاء يجب أن نكرمه حتى لا يمل منا سريعًا ويذهب بعيدًا

وقف الدكتور لحظة تأمل في الإجابة وملامستها لروحه لصدق كلامها وصدق المشاعر التي رآها في نظرة مريم.....

- أجل إنه كالضيف يجب أن نكرمه.

- غادرت مريم وسلمى المحاضرة

- سلمى: مريم ماذا تعنين أنه كالضيف لم أفهم ...

- ابتسمت مريم: أخبرتني العجوز.

- امممممم

تركت سلمى مريم وغادرت حيث كان ينتظرها أمجد ليحتسيا كوبًا من الشاي.

وجلست مريم على أحد الأرائك وسمعت صوت هادئًا "أريدك حلالي يا مريميتي"

التفتت مريم فوجدت يوسف ماذا أتى بك إلى هنا؟

- إنه قلبي يا مريم الذي دلني إليك وأريد أن أعرف إجابة سؤالي

- وما هو سؤالك؟

- أريدك حلالي يا مريم

- أريد أن أنتهي من دراستي أولًا يا يوسف.

- وما دخل دراستك؟

- لا أستطيع أن أجمع بين طريقين مختلفين لم أتحمل مسؤولية من قبل ولا مسؤولية لأحد على عاتقي فكيف أتحمل مسؤوليتك...

- أريدك حلالي يا مريم وليس خادمتي فأنا أحببتك بصدق مذ رأيتك أريد أن أشاركك أيامي وأحلامي، أريد أن أجعلكِ حياتي كلها وليس جزءًا منها.... أريد منك فتاة تشبهك، أعيش معها طفولتك فهلا تقبلين.

- دعني أفكر

- حسنًا يا وردتي.....

ويأتي صوت مزعج من بعيد "سلمى"

- هيا لنرحل يا مريم، ذهبا معًا وافترقا في منتصف الطرق منازلهم غير قريبة من بعضها، تابعت مريم السير وحدها إلى المنزل لتتذكر ما حدث في يومها الدراسي الطويل حيث كان هناك المزيج من المشاعر المختلفة التي امتلأ بها قلبها الصغير وعلى جانب آخر يوسف الذي يريدها حلاله، في لحظة شرود حيث أغمضت عينيها لترى الحقيقة المخبئة وراء تلك الأحاسيس التي امتلأ بها قلبها عندما فتحت عينيها رأت العجوز فرحت فرحًا شديدًا، ماذا تفعلين هنا؟

- عندما تحتارين ستجدينني أنا الحقيقة المخبئة التي تبحثين عنها.

ساد الحزن على ملامح مريم كالغيمة السوداء والكثير من التساؤلات التي تطرحها ملامحها والحيرة التي يمتلئ بها قلبها.

تقاطع العجوز شرود مريم بسؤال

- كيف حال الضيف يا مريم؟

- يريدني حلاله

- هل هذا ما جعلك حزينة؟

- أجل أريد أن أركز في دراستي.

- دعي قلبك يرشدك إلى الصواب وحيث تأخذك قدمك اذهبي معها.

- ماذا أفعل؟

- "افتحي الباب للضيف لا تتركيه ينتظر طويلًا على الباب "فرحت مريم بحديث العجوز معها حيث وجدت الرد المناسب في كلام العجوز لها ولأسئلتها المزعجة التي ما زالت تلاحقها فقررت أن تخبر يوسف في الصباح أنها توافق على سؤاله ودعت مريم العجوز بقبله حارة تعبر عن امتنانها لها فتمنت مريم أن يمر بها الليل مسرعًا لترى يوسف في الصباح لتخبره بأنها موافقة على الزواج منه تمنت أن تأتي إشراقة الصباح عاجلًا حيث تشرق الشمس من جديد فتنتشر داخل ثنايا روحها من جديد.

تمنت أن تهدأ نبضات قلبها الثائرة ويهدأ صوته المزعج، أسرعت بخطواتها ناحية المنزل، نظرت مرة أخرى إلى الخلف تلوح للعجوز بيديها لتودعها حيث صعدت على سلم بيتها ثم قرعت باب المنزل فتحت لها عمتها وجدان الباب فوجئت برؤية خالها "إبراهيم" والد محمود يضحك لها ضحكة صفراء تطرح الكثير من التساؤلات فاكتفت بإلقاء السلام على خالها ثم اتجهت إلى غرفتها.....

حيث أخبرتها أمها بأن ترتدي ملابس أنيقة يريد خالها أن يراها....

- حسنًا يا أمي سألحقك بعد قليل...

- خرجت مريم تنظر لوجدان تارة وتارة أخرى لأمها وتبدو على ملامحها الكثير من الأسئلة وينظر إليها والدها ويضحك ضحكة هادئة مثل المتعبد في ملكوت الله.

- اجلسي بجانبي يا مريم.

- كيف حالك يا خالي؟

- بخير عزيزتي، كيف حال دراستك؟

- بخير.

- أريد أن يتم تخرجك على خير لتأتي إلى بيتنا بشعاع نور بعد رحيل زوجة خالك أم "محمود" لم تفهم مريم كلام خالها ابتسمت الأم لن تجد مريم أفضل من محمود يا أخي والخال والد.

بدأت مريم تفهم المقصود من الكلام والحقيقة المرة المختبئة من وراء كلام خالها وابتسامة أمها، نظرت مريم إلى عمتها وجدان حيث بدا الشجن على ملامحها لأنها تعرف حقيقة حب مريم ليوسف وأن خالها يريدها زوجة لابنه محمود وهو غير ملائم إنه متهور ونظراته مربكة وغير مسؤول فكيف يؤتمن على مريم.

أصبحت مريم حزينة تتملك الحيرة قلبها نظرتها حزينة بعدما عرفت أن خالها يريدها زوجة لابنه، قررت مريم ترك المكان وذهبت إلى غرفتها لأداء مهامها الدراسية حيث بدا على ملامحها الحزن.... أصبحت مريم بين نارين على حافة الموت البطيء خافت أن يستسلم قلبها وتضحي بحبها ليوسف من أجل إرضاء والديها تلك الليلة غادرت الأحلام الوردية مريم أصبح الواقع كالشبح الذي يريد أن يقضي على آمالها بعدما كانت تريد بأن يتقاضى الليل لإخبار يوسف في الصباح بحبها له.

أصبحت الرغبة مفقودة مخاطبة الليل "مهلًا أيها الليل ففي الصباح، هناك وجعي هناك حلمي الذي تحطم، هناك يوسف"

قاطع فكر مريم صوت إحدى الرسائل الواردة من يوسف "أنتِ لي ولا أحد له حق أن ينتزعك مني، فأنتِ منارة ضلال قلبي الذي أهتدي إليها عندما أقابلك فلا تتركيني"

بدلًا من أن تتهلل أسارير مريم بالرسالة وكلمات يوسف تبدلت الفرحة دموعًا،

تقول مخاطبة دموعها "توقفي لا تسيلي فهناك صباح ينتظرك " لم تنم مريم تلك الليلة المشؤومة، أصبحت الستائر البيضاء سوداء وأصبحت

السماء حزينة واختفت نجومها وظل نجم واحد حزين يبكي على حزن أمه السماء فسوف يختفي أيضًا في الصباح.

تمنت مريم أن ترى تلك المرأة العجوز مرة أخرى لتشكو إليها من ظلم القدر معها وشبح الواقع الذي يطاردها ولا تستطيع التخلص منه، مرت الليلة المشؤومة على مريم.

استيقظت في الصباح على صوت عصفور أطلق عليه صياد رصاصة نارية يشكو إليها من ظلم الصياد الذي قيد حريته، شردت مريم للحظات قليلة وشعرت أنها مكان العصفور المجروح أن خالها وابنه الصيادان اللذان يريدان تكبيل حريتها، هذا الصباح كان مختلفًا عن أي صباح آخر مر عليها، لم تأت الشمس لتدلي خيوطها الذهبية على ستائرها البيضاء كالمعتاد كان صباحًا حزينًا يشبه صوت العصفور الجريح، قررت مريم أن تداوي جرحه ثم تطلق سراحه عندما يلتئم جرحه.

ارتدت مريم ملابسها وذهبت إلى الجامعة كالمعتاد، ذهبت لمكان العجوز لتشكو إليها وتحكي لها عما يخالج قلبها، لم تجدها في مكانها، قررت الذهاب للكلية، وعند خروجها ظنَّت أنها ستجد العجوز تنتظرها عند دخولها البوابة، رأت يوسف واقفًا مع أحد أصدقائه، عند رؤيتها له تسارعت في خطواتها لا يوقفها حزن يوسف عندما رآها تتسارع في خطواتها وإن تلاقت عيونهما ولكنها لم تلق السلام عليه كما كانت من قبل.

نادت عليها سلمى: يا وتيني؟ فلم تجب أيضًا على سلمى قرر يوسف الذهاب إليها للمدرج بعد الانتهاء من المحاضرة ليعرف لماذا هربت منه عندما رأته ولماذا ذهبت بعينيها لبعيد، ويبقى الحال على ما هو عليه عند الخروج من المدرج تسارعت خطواتها تجاه المكتبة هربًا منه ومن نظراته للمرة الثانية حيثما جلست كان يوسف جالسًا أمامها ما: بك يا مريم؟

- ليس بي شيء يا يوسف.

- حسنًا ! أريد أن أعرف إجابة سؤالي؟

أريدك حلالي يا مريم؟

- أنا لا أحبك يا يوسف دعني وشأني.

حاولت مريم الهروب من يوسف عن طريق إنكار حبها له وأنه عشقها الوحيد..

- حسنًا يا مريم أنت لا تحبيني لكن لماذا تدمع عينيكِ؟

- لا شيء طرفت عيني، كان الهروب الحل الوحيد مرارًا وتكرارًا كلما ذهبت لمكان ذهب يوسف وراءها.

- أخبريني يا مريم ما بك ليطمئن قلبي وتهدأ نبضاته فخفقانه يشبه السهم اللافح من يد جندي أهوج أخطأ في التصويب.

- حسنًا، استمع إليَّ يا يوسف جيدًا....

"أنا فتاة لم تخلق كي تحب، أنا فتاة أبي المدللة وكريزته المفضلة لم يعرف الحب عنوانًا لي وأصبح قلبي مثل الحجر، أجهل مشاعري"

- لكنك تحبينني....

- ما الذي جعلك متأكدًا يا يوسف؟

- نظرة عينيكِ كشفت سريرة قلبك يا مريم.

كفى هروبًا بالله عليكِ....

- أنا لا أحبك يا يوسف لا أحبك.

وقد تحدد ميعاد خطبتي من محمود ابن خالي.

لم يتمالك يوسف نفسه من كلامها...ماذا تقولين يا مريم؟

- حسنًا يا مريم لا تحبينني وظلي هكذا تهربين بما يخالج قلبك وأيضًا كذبي نظراتك ولمعة عينيكِ لكن لا تسلبي الحق من عيني لتنظر إليك ولا تنكري اشتياقي إليك بعدد نبضات قلبي ولا تسلبي مني الحق بمناداتك بمريمتي، غادر يوسف المكان ودموعه نهر يسيل فتقول مريم ليتك تعلم كم أعشقك ولكن ليس بيدي حيلة.

أصبحت الورود حزينة وعبرت السماء عن حزنها بالمطر على هيئة دمع متساقط، أصبح فراقهم مشهودًا عليه من السماء والأرض حيث أصبح كل شيء يبدو باللون الأسود كما هناك عاشق ليلى هناك عاشق مريم، لم

تكتمل قصة حبهما أيضًا، دق الفراق بابهما قبل أن يجتمعا، أصبحت العجوز المفر الوحيد من كل ذلك الألم، ذهبت مريم لمكان العجوز لم تجدها أيضًا انتظرت قليلًا فإذا برسالة على وريقة شجر متساقطة تتطاير من مكان العجوز.

- إذا حصلتِ على تلك الرسالة فاعلمي أنني قد فارقت الحياة بعدما رأيتك في منامي تغلقين الباب في وجه الضيف تبكين...

غادرت العجوز وغادر يوسف وغادرت الحياة مريم وهي على قيد الحياة، أصبحت مريم جسدًا بلا روح كما كانت من قبل عادت الحالة الكئيبة تدق بابها من جديد.

اتجهت إلى غرفتها، المكان المنعزل عن الدنيا وما فيها، حيث تشعر بكيانها فيه، المكان المقدس الذي تبكي فيه، نادت عليها وجدان ولكن مريم لم تجب، دخلت وجدان على مريم غرفتها وجدت مريم جالسة على الأرض تنظر للسماء تحدث الله عن يوسف.

- ما بك يا حبيبتي؟

- لقد فارقتني الحياة يا عمتي.

- ماذا تقولين يا مريم لا أفهم؟

- لقد أصبحت مثلك عمتي لقد ضللت طريقي وفقدت قلبي ورائي، أصبحت وجدان تواسي قلب مريم وهي أيضًا أحق بالمواساة على حبهما الضائع وعلى أحمد الذي لم تعرف عنه شيء ولم تتلقَ منه أي رسالة إلى الآن، باتت وجدان مع مريم تلك الليلة، لم ينم أي منهما.. ظلتا طوال الليل تنعيان حزنهما للقمر وظلام الليل.

سمعت مريم صوت العصفور الذي احتجزته لتداوي جرحه، قد نسيته مريم تمامًا وأصبح ينادي عليها بصوت حزين تأنيبًا لها ومن ظلم الصياد الذي أصابه وهي تبكي أيضًا على أحلامها الوردية.

* * *

"في الصباح"

قررت مريم أن تطلق سراح العصفور بعد التئام جراحه فتحت له أبواب القفص غرد وطار بعيدًا، شعرت أن روحها هي التي تغادر لبعيد مع العصفور، بدأت الفرحة تنتشر داخل ثنايا روحها.

حاولت سلمى الاتصال بها مرارًا وتكرارًا لكنها أجابت في المرة الأخيرة:

- أين أنتِ يا مريم؟ هل ستأتين اليوم؟

- اليوم عطلة يا سلمى....

- أعلم، لكنه يوم الاحتفال بتخرج دفعة جديدة.

تذكرت مريم أن يوسف أيضًا سوف يتخرج، إنها حفلة وداع يوسف أيضًا

أصبحت مريم مثل وجدان عندما انتظرها أحمد في المطار ولكنها لم تذهب لتودعه وها هي الآن لم تذهب لرؤيته للمرة الأخيرة.

أصبحت نظرات يوسف تبحث عن مريم وسط الحشد الكبير ولكن بدون جدوى، سيطرت الكآبة على ملامحه وبعد الانتهاء من مراسم حفل التخرج رأى يوسف سلمى وأعطاها خاتمًا لتقديمه لمريم.

باسمة وافقت سلمى وأخذت الخاتم ثم غادرت وقررت أيضًا الذهاب لمريم وإعطاء الخاتم لها.

عندما ذهبت سلمى إلى مريم رأت محمود أمامها على السلم ذاهبًا أيضًا لشقة عمته خطيبته المستقبلية "مريم"، تعرفا على بعضهما

أدعى محمود وأنتِ؟

سلمى فوجئت أن الطابق المتجه له هو نفس الطابق المتجهة إليه ويخبرها بأنه منزل حبيبته فوجئت سلمى من كلام محمود؛ هل يقصد أن مريم حبيبته...لا لا.. هناك سوء تفاهم، فتحت وجدان الباب لهما وصلت سلمى لغرفة مريم وجلس محمود بالخارج.

* * *

"في غرفة مريم"

- ما بك يا مريم؟

- لا شيء ليس بي شيء.

- لقد ترك يوسف شيئًا معي

ترك هذا الخاتم يا وتيني.

أخذت مريم الخاتم وكأنه الروح التي فقدتها وراءها، ظهرت بسمة على شفتيها لكنها لم تدم بسبب تذكرها لمحمود وأن يوسف أصبح ماضيًا.

استأذنت سلمى على عجلة منها لأن والدتها تنتظرها وودعت مريم بقبلة...

خرجت مريم تبدو عليها الكآبة من غرفتها ترتدي بيجامة سوداء وشعرها متدلٍ على كتفها تحت عينيها هالة سوداء فوجئت برؤية محمود وهو يقول لها "تشهين الباندا يا مريم"

- ماذا تفعل هنا؟ لم أرك!

تمتمت بكلام غير مفهوم وغادرت مسرعة لغرفتها ترتدي شيئًا يستر جسدها وشعرها وجدت وشاحًا أسود اللون كان لجدتها الراحلة والذي أصبح ملك وجدان أيضًا، دخل أبيها عليها:

- ماذا ترتدين يا مريم؟ تشهين جدتك في ذلك الوشاح....

اسمعيني يا مريم أنت لست ابنتي فقط أنتِ ابني الذي لم أنجبه.... لن أجبرك على شيء ليس باستطاعتك أن فعله فتأكدي أني بجانبك...

تناولت مريم الغداء مع أبيها وأمها وتناول معهم "محمود" أيضًا، غادرت لغرفتها فوجدت الخاتم الذي أهداه إليها يوسف ملقًى على المكتب قررت أن تعترف لمحمود بكل شيء وبالفعل اتصلت على محمود تخبره أنها تريد أن تراه غدًا فوافق محمود على رؤيتها وأخبرها أنه سيذهب إلى الجامعة لها بعد انتهاء الدوام وبالفعل جاء الصباح وذهبت مريم إلى الجامعة وانتظرها محمود لوقت طويل للانتهاء من محاضراتها، وجد سلمى صديقة مريم وقال لها أين صديقتك أخبرته بأنها في المكتبة، شكر سلمى وتوجه إلى المكتبة لمقابلة مريم.

- كيف حالك يا مريم؟

- بخير. وأنت؟ أريد أن أخبرك بشيء يا محمود.

- حسنًا أخبريني!

- أنا أحب شابًا آخرًا يدعى يوسف أما أنت فلست غير أخ لي.

- لكني أحبك يا مريم.

- لا يا محمود أنت تحب طفولتنا التي جمعتنا تحب عيني ابتسامتي .... أما عنه فيحب روحي يسكن قلبي ليس لأحد الحق بقلبي لأنه مالكه وملكي ومليكي وأنا ملاكه وملكه ومليكته....

انسحب محمود وأخبرها بأنه سيتحدث مع والده وسينهي كل شيء، فرحت مريم لتقبل محمود الأمر بهدوء والآن زال الحجاب من على عين مريم الغشاوة التي كانت على قلبها.

عند مغادرة محمود المكان سمع صوتًا من بعيد ينادي عليه، عندما التفت وجد سلمى صديقه مريم.

- لماذا يبدو الحزن على ملامحك؟ مريم طيبة ولكنها تريد المزيد من الوقت.

- لقد انتهى كل شيء، تركتني مريم ولا أريد أن أزرع في قلبها حزنًا.

- محمود سأكون سعيدة لو احتسيت معي فنجان قهوة.

- امممممم....قهوة

حسنًا أعشق القهوة هيا بنا.

ذهبا إلى كافيه قريب من الجامعة

- أخبريني ما هي هواياتك يا سلمى.

- أعشق الغناء....

- غير معقول تحبين القهوة والغناء أيضًا إننا متشابهان في مواهبنا.

- رب صدفة خير من ألف ميعاد يا محمود.

غادرت سلمى بعد احتسائها القهوة مع محمود وذهبت إلى المكتبة مرة أخرى فوجدت مريم جالسة كما كانت تقرأ كتابًا لمحمود درويش حيث أنه الملهم الوحيد الذي تعشق كتاباته وهو منبع أحاسيسها.

- يا وتيني....

- أين كنتِ يا سلمى لم أجدك.

- كنت مع محمود

- محمود...امممممم

- أجل محمود يا مريم إنه لطيف جدًّا

- منذ متى تعرفينه وكيف؟!!

- عندما جئت لزيارتك كان صاعدًا معي متوجهًا إليك وتعرفنا...

- حسنًا.

- أريد أن أخبرك بشيء يا مريم أظن أنني معجبة بمحمود.

- بمن؟ محمود! هههههه.

- حسنًا أخبريه يا مريم، لست متأكدة من مشاعري.

- حسنًا....هيا بنا.

في ذلك الوقت تأكدت مريم أن القرار الذي اتخذته منذ قليل فهو عادل وليس ظلمًا على محمود، وأن حبه غير لائق بها، فتحت مذكرتها لتكتب "الحب ليس جسدًا، الحب روح، هناك من يحب بروحه وهناك من يحب بغريزته وشهواته والفرق بينهما أن الذي يحب الروح لن يرى غير حبيبه وأن الذي يحب بشهواته يجري وراء كل جسد جميل وامرأة عارية ولكن لن يدوم طويلًا، أما الحب الصادق فلن يخرج من القلب مهما تعددت الأسباب والحواجز والحب لي هو "يوسف".

أصبحت مريم لا تعرف شيئًا عنه بعد تخرجه وانتظرته كثيرًا حتى غلبها النوم مرة ثانية.

* * *

فراق

في الصباح ذهبت مريم إلى الجامعة وكان قد تبقى من الوقت أسبوع واحد على اللحظة الفاصلة وهي "تخرجها"

كان التخرج بالنسبة لها كالوحش حيث تنفصل عن أصدقائها والمكان الذي جمعها بنصفها الآخر حيث كانت هناك أحلام كثيرة رسمتها وكل مكان له ذكرى طيبة في قلبها، ستعود وحيدة من جديد.

عند رؤيتها لمكان العجوز فارغًا أصبح مشهدًا مأساويًا، كانت الملاذ الوحيد للنجاة بسفينة قلبها لترسوا حيث هناك ورق الشجر المتساقط الحزين الذي أسقطه الخريف رغمًا عنه، عندما تابعت السير رأت "علي" صديق يوسف القديم كان آتيًا إلى الجامعة لاستلام شهادة تخرجه لأنه كان مسافرًا فلم تحن له الفرصة من قبل أن يأخذها.

شعرت برائحة يوسف وذكرى من الماضي، تذكرت كل شيء وأصبحت ذكرياتها في تلك اللحظات القليلة شريطًا يمر أمام عينيها.

- علي: كيف حالك يا مريم، أراكِ حزينة ألا تتحدثين مع يوسف؟!

- لا أعرف شيئًا عنه يا علي.

- حتى أنا أجهل مكانه يا مريم

- حسنًا دعني أراك مرة ثانية.

- إلى اللقاء

- حسنًا إلى اللقاء.

تبقى أسبوع على حفلة تخرج مريم وقد قررت وجدان الذهاب معها إلى الحفلة، عندما علمت مريم بقدوم عمتها معها فرحت فرحًا شديدًا وهللت كصغير العصفور حيث لم يتبقَ لها مكانًا للفرح في حياتها بعد سفر يوسف ورحيل العجوز، أصبحت مريم تناجي ربها بقلب مكلوم وصوت جريح يمزجه الألم والبكاء المكتوم "ربي أعلم أنك جعلت فراق أحبابي مكتوبًا على جبيني وأعلم أنك قدرت لي المشي حافية على شذرات الزجاج وأعلم أنني قد أخذت نصيبي من الحزن وجعلت البكاء تعبيرًا عما يكن في قلبي وسطر الأنين كلماتي..... بعزتك وجلالك أقسمت بك سأكون راضية بما كتبته لي لكن اجعل لي نصيبًا لرؤية يوسف مرة أخرى"

* * *

"في المساء"

دقت وجدان باب غرفة مريم لتطمئن عليها

- كيف حال حبيبتي؟

- على قيد الحياة.

- حسنًا وأنا على قيد الحياة أيضًا

ساد شبح الصمت المكان ودق باب الحزن قلبهما مرة أخرى وأخبرتها وجدان بأنها ستغادر إلى باريس اليوم وميعاد الطائرة السابعة مساء، صمتت مريم قليلًا لتستجمع شجاعتها وترد....

- اليوم! لماذا اليوم؟ أنتِ الوحيدة التي تعلمين شدة احتياجي لكِ، انتظري قليلًا فأنا أريدك بجانبي.....غرقتا في الدموع.

- ليس بيدي شيء يا مريم ليتني أظل بجانبك العمر ومداه لكن عمتك ليس بيدها شيء هذه المرة، اغفري لي يا حبيبتي.

- حسنًا سأغفر لكِ لكن أخبريني عندما أحتاجك ماذا أفعل؟

عندما يشتاق قلبي إليكِ ماذا سأخبره؟

عندما أتمنى رؤيتك بما سأخبر عيني؟

أصبحت الحياة ظالمة أيضًا هذه المرة ودق الفراق بابها مرة أخرى لم تملك مريم خيارًا لحياتها وكان الاستسلام هذه المرة الحل الوحيد..... لم تذرف دمعة واحدة هذه المرة، أصبح كل شيء باهتًا كل شيء يبدو باللون الرمادي مزيج الأبيض والأسود وأيضًا مزيج الفرح بالحزن.....

أصبحت حياة مريم فارغة تمامًا ليس لها شيء تعيش لأجله فاتجهت إلى قراءة الكتب وعشق الروايات والموسيقى الحزينة وترانيم الموسيقى

الصوفية، بدت مريم كالعروس التي فقدت فستانها ليلة زفافها كالأم التي انتظرت رؤية مولودها وعندما أوشكت على الولادة أخبرها الطبيب أن هناك مشاكل في الرحم، أصبحت كالمدينة الحزينة في فصل الشتاء، كالشجرة الباكية على أوراقها التي انتزعها الخريف رغمًا عنها... كوردتها الحزينة المفتقدة لاهتمامها.

قاطع صوت سلمى المزعج شرود مريم وأخبرتها بميعاد زفافها على محمود، طال صمت مريم المخيف وأصبح الملل مسيطرًا على الجو حتى أصبح كئيبًا، غادرت سلمى مريم بدمعة على حالها...

حيث فقدت جزءًا من روحها فأصبحت غير قادرة على إرضاء الآخرين، أصبحت منعزلة عن العالم الخارجي وحيدة تمامًا.. الوردة التي فقدت رائحتها التي كانت تجذب الناظرين إليها عاد العصفور لها مرة أخرى يشكو من ظلم الصياد، أصبح العصفور مثل ساعي البريد الذي يمر من وقت لآخر حاملًا إحدى الرسائل وكانت رسالة العصفور هذه المرة الشكوى من الصياد وظلم البشر كما أصبحت مريم كالعصفور تشكو القدر.

قررت مريم بأنها ستواجه الحياة والخروج من جو الكآبة والملل والحزن وأنها ستحارب مهما كان الثمن فلم يبق لها حبيب ولم تترك الحياة لها خيارًا آخرًا، تقاتل بكل ما أوتيت من قوة، أخبرت والدها بأن يبحث لها عن وظيفة للهروب من التفكير في الماضي والفكر الذي أرهق ذاكرتها.

بدأت بالفعل العمل في شركة لصديق أبيها حيث هنا المفاجأة أحد الموظفين في هذه الشركة كان "علي" صديق يوسف، أصبحا زملاء عمل وبدأ كل واحد منهما يحكي للآخر ويكشف عن سريرة قلبه للآخر حيث أخبرها علي بأنه يحب زميلة لهم في العمل تدعى "زينب" ولكن والدها يريد أن يزوجها ابن عمها.

بعد مرور عدة أسابيع كانت مريم تنهي عملًا ضروريًا مع أحد العملاء فوجئت برؤية علي مقبلًا عليها تملأ الابتسامة وجهه وأن القدر كان عادلًا معه بأن زينب تكلمت مع أبيها ووافق أبوها على خطبتهما... فرحت مريم لفرح علي وزينب ودعت الله بأن لا يجعل الفراق نصيبهما...

عند عودة مريم للبيت سمعت بكاء أمها وعندما سألتها عن سر بكائها أخبرتها بأن وجدان قد تعرضت لحادث، استقبلت مريم ذلك الخبر أيضًا دون ذرف دمعة واحدة من عينيها، خيم الحزن على روحها وعلى الجانب الآخر أخبرها الطبيب أنه يجب إجراء عملية لوجدان في أسرع وقت خوفًا من حدوث إصابة في أحد فقرات العمود الفقري وإن لم يتم إجراء العملية في الحال ستصاب بشلل كلي، أخبرهما الطبيب أن المستشفى ليس بها إمكانيات لإجراء عملية مثل تلك ولكن كان هناك شعلة نور في نهاية طريق مليء بالظلام وليال حالكة وهو أن هناك طبيبًا آتٍ من الخارج لزيارة المستشفى هو وحده القادر بعد الله على تلك المجازفة سنقوم بعرض الحالة عليه وبالفعل وافق الطبيب على إجراء العملية.

أمر بتجهيز غرفة العمليات، في الحال جاءت الأخبار السعيدة ترفرف بأجنحتها فوق جو مليء بالكآبة وهو نجاح عملية وجدان.

في اليوم التالي استردت وجدان وعيها وطلبت أن ترى الطبيب الذي أنقذها قبل أن يتوغل الشلل في جسدها كالشبح.. هنا يتدخل القدر ليمضي بكلماته الأخيرة في حياة وجدان فوجئت بأن الطبيب المعالج "أحمد" التي لم تذهب لتودعه، قابلا بعضهما ودموع الشوق تنهار كالسيل تفر هاربة من سجن الكتمان لمدة سنين.. رأى أحمد أنه الوقت المناسب ثم قرر لن تفلت وجدان هذه المرة من يده ويتقدم لأخيها لخطبتها والزواج منها، فرحت مريم عندما رأت الفرحة ترقص في عيني وجدان.....

* * *

ذهبت مريم لعملها ورأت علي مقبلًا عليها تظهر عليه الكآبة نهضت مريم من مكانها تسأله: ما بك؟

هل زينب بخير؟

اغرورقت عيناه بالدمع ولم يجب.

أخبرني يا علي ما بك؟

- لقد غادرنا يوسف يا مريم.

تعرض لحادث أليم.

توقف الزمن وكاد نبضها يتوقف أيضًا، قد قضت الحياة على كل آمالها وأن القدر كان غير منصفٍ معها.

* * *

مرت الأيام وأصبح عمر مريم يقارب الخمسة عقود حيث جلست مكان العجوز وأصبحت مثلها في كل شيء وبالتالي أصبحت قصة مريم تتكرر في كل مكان وزمان، قصة غير مكتملة لن تكتمل إلا حين تمتزج روحها بروح يوسف، أصبحت عجوزًا تبحث عن يوسف في كل غريب يمر عليها ولأول مرة تركت دموعها تهمر فتقول:

"سيلي أيتها الدموع ولا تتعالي فاليوم يومك فكوني هادئة ولا تقسي عليَّ يكفيني مرارة الزمان وظلم القدر يكفيني موت يوسف وتركه للمريمه وحيدة حزينة....."

وهنا يسطر القدر كلماته الأخيرة في قصة حبهما وموت يوسف ولم تكتمل القصة لأسباب قدرية حيث أصبح الأمان مفقودًا نبحث عنه حتى تاهت أرواحنا

هل يا تري سيأتي عاشق مثل يوسف أم ستبقى هناك روح مفقودة في كل قصة حب.....

* * *

عشق الزمان

هناك قصص حب غير مكتملة، وبصيص من نور يتبخر ونور فقد بصيرته ليأتي بعكاز يرشدة علَّ ثقبًا أبيض هناك يتغلغل منه رائحة النور فيرشدنا إلى أمل جديد علَّنا لا نفقد ما تبقى منا وأن تقوى الروح على الدمع.

كما يوجد ليل يوجد نهار، كما يوجد ظلم يوجد عدل، المهم أن نظل نقف على أقدامنا.

بعد زواج أحمد من وجدان واجها مشاكل عديدة، كانت وجدان تحتاج إلى معجزة إلهية كي تنجب. كانت وجدان فاقدة للأمل تمامًا برغم محاولاتها المتكررة، هي إرادة الله حيث سيطرت الكآبة على ملامحها وبرغم كل محاولات أحمد معها إلا أنها فشلت حيث كان الأمل مفقودًا لا يعرف لها عنوانًا، حاول أحمد أن يفكر في حيلة لإخراج وجدان من حالة الكآبة والملل التي خيمت على روحها وكان اقتراحه على وجدان أن تستغل فراغها عن طريق وظيفة وجدها لها، أن تعمل كمدرسة في إحدى المدارس الحكومية، رفضت وجدان وبعد محاولات عديدة في إقناعها وافقت في النهاية على قبول الوظيفة...

في الصباح..

ذهبت وجدان إلى وظيفتها الجديدة فرأت فتاة في السابعة عشر من عمرها تبكي بشدة، يكاد البكاء ينزع قلبها والدموع التي لا تتوقف مثل جدول صغير، سألتها وجدان ما الذي يبكيكِ يا صغيرتي فتجيب الفتاة:

- لقد اشتقت إلى أمي.

- حسنًا أين أمك؟

- أمي تسكن عند الله.. بكت وجدان على بكاء البنت وتذكرت فقيدة قلبها "مريم" حاولت أن توقف دمعها كي تهدِّئ من روع الفتاة.

- ما اسمك؟

- اسمي عشق وينادني أبي عشق الزمان.

- لقد أصاب أباكِ في اختياره لذلك الاسم، عشق وأنتِ عشق.

غادرت وجدان وتركت الفتاة لتذهب إلى المدرسة كان عندها حصة بعدما سمعت جرس المدرسة تاركة وراءها عشق حيث رأت ملامح مريم تتكرر في تلك البنت، جلست وجدان على مكتبها حيث لازمها صداع حاد، نادت على "أم محمد" لتحضر لها فنجانًا من القهوة ثم أفاقت من الأم رأسها المؤلمة على صوت رنين هاتفها وكان أحمد المتصل..

- وجدان..

- أما زلتِ في المدرسة؟

- أجل

- حسنًا.. سأمر عليكِ لأوصلك إلى البيت.

- حسنًا.... مع السلامة.

بعد مرور ساعة جاء أحمد ليصطحبها إلى البيت وعند مغادرتها للمكان شعرت بالحزن وكان شعورًا مختلفًا ممزوجًا بالخوف والحنين، شعرت بأن رائحة مريم في ذلك المكان غادرت مسرعة...

تساءلت ما هذا الشعور الغريب الذي انتابها فجأة.

* * *

"في صالة البيت"

أحمد ووجدان يجلسان في صالون البيت، بدا على أحمد حزن شديد فشل في إخفائه وساد الصمت في المكان.

سألته وجدان: هل تتذكر يا أحمد أول لقاء بيننا؟

- أجل يا وجدان، وهل هذا شيئ ينسى؟

- أراك حزينًا.... ما بك؟

- لا تقلقي يا وجدان ليس هناك ما يقلق مشكلة صغيرة مع مديري في المستشفى

- لا تقلق سيمر كل شيء وكأنه لم يكن وسيمر كل مُر ذات يوم، دعنا ننام..

* * *

جاء الصباح بإشراقة جديدة وبث أملًا جديدًا في النفوس، ذهبت وجدان إلى عملها رأت عشق مقبلة عليها تبتسم ابتسامة خاجلة فنادتها وجدان تسألها ما سر الابتسامة والطلة البهية.

- ما بك يا عشق؟ ما سر التحول المفاجئ على ملامحك؟!

- لقد رأيتك في منامي البارحة؟

- أنا.. ماذا رأيتِ يا عشق؟!

- رأيتك تحملين وردة حمراء جميلة مثلك.. اندهشت وجدان بما تسمعه وغادرت والتساؤلات تتزاحم على عقلها لماذا عشق حلمت بي؟

كيف تعرف عشق أني أحب الورد الأحمر؟

ما الصلة التي تربطني بتلك الفتاة؟

رن هاتف وجدان وكان أحمد المتصل اندهشت من الاتصال لأنها رأته منذ برهة، أخبرها بأنه ينتظرها بالخارج، خرجت مسرعة وجدت أحمد يحمل بوكيه وردٍ لونه أحمر فوجئت وجدان ,وقفت صامتة تفكر في رؤى عشق

والورد وأحمد أمامها فرحت وحزنت معًا كان شعورًا غريبًا يدق باب قلبها شكرت أحمد واتجهت إلى الفصل لترى عشق ولكنها لم تجدها وسط الفتيات وجدت مكانها فارغًا أخبرتها أمنية صديقة عشق بأنها في حديقة المدرسة تقرأ أحد الروايات بعيدًا عن ضوضاء الفصل، ذهبت وجدان إلى الحديقة مسرعة لترى عشق تبحث بعينيها الصغيرتين هنا وهناك عنها رأتها تجلس في جانب بعيد بجوار شجرة كبيرة ذهبت في اتجاهها مسرعة جلست على ركبتيها تتأمل ملامح عشق الصغيرة، وجنتيها الوردتين والدموع تسيل على خدها ولجم لسانها لم تستطع أن تنطق بشيء سوى "من أنتِ؟"

من أين جئتِ؟

ابتسمت عشق "أنا عشق وكل من رآني عشق ابتسامتي أنا حلم أبي الذي تحقق أنا دعوة أمي طوال ليال عشر أنا ابنة الفقير إلى الله الذي اغتصب حقه رجل ثري....

أنا عشق الزمان ولي حكاية مع كل أوان تودين أن تسمعي حكايتي؟...

استغربت وجدان لما تسمعه كيف لكلمات كبيرة أن تخرج من فتاة صغيرة لم تتجاوز العشرين من عمرها، تساءلت وجدان ما حكاية تلك الفتاة، لماذا أشعر أن هناك شيء ما يربطني بها، لماذا الحرية تنتابني عند النظر إليها تركت وجدان عشق وذهبت إلى مكتبها وطلبت أمنية أن تأتي إليها وسألتها

- أخبريني يا أمنية ما هي قصة عشق؟

- إنها حزينة.

- حزينة..... لماذا هي حزينة؟ أخبريني وأعدك بأن عشق لن تعرف بهذه المقابلة والكلام الذي دار بيننا.

- حسنًا سأخبرك...

- في مدينتهم قاضٍ يأخذ حق كل فقير ويسلب ممتلكات غيره رغم أنفه، سلب أرض والد عشق، له ابن يدعى مالك.....

- هل هذا سبب الحزن الذي تكنه عينها؟

- لا....

- عشق مثل العاصفة تحمل الكثير بداخلها ولا تخبر عنه أحدًا، تبتسم رغم وجعها، لا تقدر على أن تحكي لأحد على ما يخالج قلبها، لم أر دموعها يومًا ما... حتى يوم وفاة والدتها تكابرت على دموعها لا تقوى على أن تتحمل رؤية أحد يبكي، ذات يوم عند خروجنا من المدرسة بعد انتهاء يومنا الدراسي رأت عامل النظافة يبكي فاشترت له وردة وهي أشد المحتاجين للفرحة لكن لا يعلم قيمة الأشياء إلا من فقدها فيكون حريصًا على اعطائها لغيره حتى لو كانت ابتسامة.. تبكي وجدان وتخبر أمنية بأنها تريد أن تعلم قصتها كي تخفف عنها.

عندما سألتها أمنية ما السبب الذي جعلها متعلقه بعشق...ردت وجدان...

لقد رأيت بها وتيني الذي قطع "مريم"

تسأل أمنية وجدان "من هي مريم؟"

- مريم هي عشق وعشق هي مريم، متشابهتان ولكن القدر جمعني بمريم على هيئة عشق.

- لا أفهم.

- مريم تكون ابنة أخي وفقيدة قلبي سلبها الموت مني وماتت حزنًا على فراق حبيبها..

- أخبريني الآن أين أجد عشق؟

- لقد غادرت منذ قليل

- حسنًا وأنا سأغادر

* * *

"في بيت عشق"

الحاج محمد رجل بسيط الحال ذو هيبة ووقار والد "عشق" لا يملك غير قوت يومه، بشوش الوجه، طيب اللسان، أخذ القاضي أرضه، ذهب الحاج محمد إلى الشيخ غانم وهو القاضي يستسمحه بأن يرد له أرضه ولكنه

رفض وعند خروجه من قصر غانم وجد ابنه مالك يمتطي حصاناً أسود يظهر عليه الطيبة غير أبيه، اندهش الحاج محمد من ذلك الموقف كيف الأب مثل غانم والابن مثل مالك لماذا تظهر عليه الحكمة وهو ابن حاكم ظالم فقال "صحيح يخلق من ظهر القاسي لين" ذهب محمد إلى بيته ورأى عشق لأول مرة ترتدي ثياب أمها فقال: ما هذا يا عشق ماذا ترتدين؟ بابتسامة خجولة: ثياب أمي يا أبي فلقد اشتقت إليها...

- هل تعلمين يا عشق كل يوم أحب النظر إلى وجهك كل صباح، أرى أمك في ملامحك عندما تنظرين إليَّ وعندما تبتسمين أعشق ابتسامتك ولا أريد أن أرى دمعتك يومًا ما، هل تعلمين كم أخبرتني أمك بأنها تشتاق لرؤيتك ترتدين فستان زفافك؟

- زفافي؟

- أجل زفافك وقد وعدتها بأنني سوف أحقق رغبتها وألبي لها طلبها وأمنيتها

* * *

جاءت أمنية لترى عشق لأنها لم تذهب إلى المدرسة فأتت إلى بيتها للاطمئنان عليها سمعت عشق جرس الباب فتحت الباب فإذا بها أمنية تبادلا السلام على بعضهما وجلسا في غرفة عشق ليتبادلا الحديث:

- لماذا لم تأتِ اليوم يا عشق؟!

الأستاذة وجدان كانت تبحث عنك

- أبي يريد أن يزوجني.

- يزوجك!! كيف؟ بقي القليل على الاختبارات.

- أنا حزينة لأنها آخر سنة ولن تتاح لنا الفرصة لرؤية أستاذة وجدان لانتقالنا مرحلة تعليمية أخرى يا أمنية.

- هل تعلمي يا أمنية لقد رأيت بها نظرات أمي في نظرتها إليَّ وأيضًا حنانها في لمسة يديها سآتي غدًا لأخبرها بأنني رأيتها في رؤياي البارحة.

- حسنًا سأغادر الآن يا عشق لقد تأخر الوقت، ودعتها عشق بقبلة وغادرت أمنية.

يطرق الحاج محمد باب ابنته وأخبرها بأن سليم ابن عمها سيأتي لزيارتهما الأسبوع القادم.

- حسنًا يا أبي.

* * *

"في الصباح"

كان صباحًا مختلفًا

ارتدت عشق وشاحًا أسود وذهبت للمدرسة، في الطريق رأت رجلًا عجوزًا ينادي عليها "يا عشق الزمان" لم تلتفت وراءها متسائلة لماذا يناديني؟ وكيف لهذا العجوز أن يعرف اسمي؟ كرر العجوز نداءه يا عشق انتظري ودعيني أقرأ كفيك، تباطأت في السير، وقفت فجأة وعادت إلى العجوز وتظهر على وجهها الحيرة، جلست على ركبتيها، حسنًا أخبرني ماذا يخبرك كفي.

- أعطني يديك يا عشق.

- حسنًا.. لكن أخبرني أولًا، من أين علمت اسمي؟

لم يجب على سؤالها، نظر الرجل باستغراب لعشق وقال لأول مرة لم أستطع أن أقرأ يدًا، أخبريني يا عشق من أين أنتِ؟

- أخبرني ماذا رأيت أولًا.. رأيتك تغرقين فيأتي فارس على حصانٍ أسود لكنك تمانعين أن تعطيه يدك ويأتي آخر وتعطين يدك له ويصبح كالقشة التي تنقذك من الغرق، غادرت عشق وهي خائفة مما أخبره عنها العجوز لم تصدق... وأعطاها العجوز سلسلة معلقًا بها حجرًا أسود: احتفظي به ستعودين إليَّ مرة أخرى، اتجهت إلى المدرسة لترى وجدان ذهبت إلى مكتبها ولكنها لم تجدها.

أخبرتها السكرتيرة بأنها لم تأت اليوم، غادرت حزينة لأنها لم ترَ وجدان ولم يتبقَ غير أسبوع واحد على الامتحانات وأنها تريد أن تراها لتخبرها عن الحلم.

عند عودتها للبيت تذكرت الحجر الذي أهداه إليها العجوز، وجدته يزين رقبتها حيث أخبرها والدها بأن ابن عمها سليم أوشك على الوصول.

- حسنًا يا أبي... نادى أبوها عليها لتحضر الشاي، وقف سليم لإلقاء التحية على ابنة عمه "عشق" فرأى جمالًا لم يرَه من قبل، خطف قلبه منه لأول مرة ولجم لسانه وامتنع عن الكلام.

- هل أنتِ عشق؟!

- أجل أنا عشق كيف حالك.

- حالي بخير

غادرت عشق المكان بعد سلامها على سليم وبعد برهة استأذن سليم بالمغادرة وأخبر عمه بأنه يريد أن يرى عشق قبل مغادرته نادى والدها عليها تعالي يا عشق يريد سليم رؤيتك قبل مغادرته.

- حسنًا يا أبي.

- سليم بصوت هادئ أريد أن أخبرك بشيء يا عشق لم تتح لي الفرصة من قبل أن أقوله؟

- حسنًا أخبرني.

- أحببتك منذ طفولتنا والآن أحببتك أكثر وأحببت خجلك ثم غادر بعدم معرفته جواب عشق على سؤاله.

* * *

في الصباح ذهبت عشق للمدرسة لرؤية وجدان مرة أخرى فوجدت العجوز جالسًا على الأرض وقال لها لقد وجدتِ الفارس الأول البارحة يا عشق والآخر ستجدينه قريبًا.

غادرته على استحياء ولم تجبه.. اتجهت إلى مكتب وجدان رأتها تجلس حزينة يائسة، استأذنت بالدخول فأذنت لها وجدان، احضنتها كاحتضان الأم لابنتها التي أطالت السفر لسنوات طويلة.

- أين كنتِ يا عشق طوال تلك الفترة؟ لقد اشتقت إليك .

- أريد أن أخبرك شيئًا يا أستاذة.

- حسنًا قولي يا عشق ما الذي تودين إخباري به؟

- لقد رأيتك في منامي الليلة قبل الماضية.

- ماذا رأيتِ بنيتي.

- رأيتك تحملين طفلًا جميلًا يشبهك، غادرت عشق وتركت وجدان حائرة في فكرها، وجدان من الممكن أن الله قد أرسل عشق في شكل رسالة أو هدية تطمئن قلبي، أم أضغاث أحلام...

غادرت عشق المكان وأيضًا غادرت بعدها وجدان بقليل من الوقت وعند عودتها للبيت رأت أحمد يجلس في صالة البيت حزينًا تظهر على ملامحه الكآبة.

- ما بك يا أحمد؟

- لقد تركت العمل يا وجدان.

- وجدان حزينة بداخلها ولكن تريد أن تواسي أحمد

- حسنًا لا تغضب يكفيني أنتِ يا قرة عيني، نظر أحمد لوجدان رآها مرهقة يظهر عليها علامات الإرهاق وتبدو ملامحها حزينة وبعد برهة سقطت وجدان أرضًا، فزع أحمد ونهض من مكانه اتصل بالطبيب وأخبره أنها حامل في شهرها الثاني، استغرب أحمد، حامل كيف؟ أخبرتنا الأطباء ليس هناك أمل..... اهدأ يا دكتور أحمد إنها مشيئة الله.

- مبارك اعتني بها إنها في شهور الحمل الأولى.

- حسنًا... ثم انصرف الطبيب.

انتظر أحمد وجدان أن تفيق وبعدما أفاقت ضمها أحمد لقلبه وأخبرها بأن الله قد استجاب لدعوات طالت لسنوات.

ذهلت وجدان لما تسمعه.... نعم أنا حامل.... عشق كانت محققة..... أريد أن أرى عشق الآن يا أحمد.

- أحمد متسائلًا: من عشق يا وجدان؟

وكيف تنهضين وحالتك هذا؟!

- لا أعرف يا أحمد كل ما أعرفه أريد أن أراها، لم تفكر وجدان في حالتها ولا دمعة عينيها لذلك الخبر الذي انتظرته منذ سنوات لسماعه ودعواتهم التي استجابت، كل ما تفكر به هو رؤية عشق فقط.

- حسنًا يا وجدان سآخذك إليها ولكن اهدئي... ارتدت وجدان ملابسها وعند ذهابها في الطريق تذكرت أنها لا تعرف عنوان بيت عشق قررت الاتصال بأمنية صديقة عشق وأخذت منها العنوان ورقم الهاتف....

دقت وجدان باب منزل عشق وعشق تفتح لوجدان، ارتمت وجدان في أحضان عشق الفتاة الصغيرة الكبيرة وأخبرتها بأنها حامل فرحت عشق لرؤية الفرحة في عيني وجدان وأنها ستكون معها ولن تتركها، بكَت عشق وعندما سألتها وجدان سر بكائها لم تجب غير أنها دموع فرحة لخبر حملها...

عند عودة وجدان وأحمد إلى البيت كان قد خيم الليل عليهما عجز أحمد عن الرؤية للحظات، تعرضا لحادث اصطدما في شجرة على طريق مهجور مختصر للبيت هنا، كانت عشق تبكي لأنها رأت وجدان بالأمس تبكي في مكانها ولكن عشق لم تخبر وجدان حتى لتستقر منها، فرحة خبر حملها التي انتظرته طويلًا ذهبت عشق لرؤيتها في المستشفى واللهفة تأكل قلبها آسفة يا أستاذتي لم أستطع أن أخبرك بالأمس حيث رأيتك فرحة للمرة الأولى تتحدث عشق مع وجدان وهي فاقدة الوعي.

بعد قليل أخبرها الطبيب أن وجدان لن تفيق هذه الليلة، غادرت عشق نظراتها كلها حزن ومواساة لوجدان على حالتها وضعت يدها على رقبتها تتحسس الحجر لم تجده، حزنت حزنًا شديدًا وشعرت بأن هناك شيئًا سيحدث وأنها فقدت جزءًا من روحها، خرجت مسرعة من المستشفى متجهة إلى العجوز تسأله عن حجر آخر.

قال العجوز ما دمتِ أضعتِ ذاك الحجر سيمر عليكِ سبعة أيام فرح وسبعة حزن وإن لم تجديه في اليوم الأخير من الحزن، ستنقلب حياتك رأسًا على عقب، غادرت وهي حزينة وجدت في طريقها "مالك" عندما رآها خطفت نظراتها قلبه.

- من أنت؟

- لم تجب وغادرت....

غادر مالك أيضًا المكان يفكر من تلك البنت؟ ذهب لوالده يخبره بأنه يريد أن يتزوج من فتاة خطفت قلبه من النظرة الأولى ولكن لا يعرفها لا يعرف بنت من ولا أين بيتها.....

أمر والده حراس القصر أن يأتوا بكل فتاة يتراوح عمرها بين الخامسة عشر والعشرين، حكاية سندريلا تتحقق من جديد ولكن هل ستكون النهاية سعيدة؟ وبالفعل لبى الحراس الطلب وأتوا بكل فتايات القرية ما عدا عشق لأنها كانت غادرت البلدة لتزور خالتها، بالفعل أتى مالك ليرى الفتايات ليبحث عن عشقه فيهم ولكنه لم يجدها وأمر الجميع بأن ينصرفوا كان غاضبًا يصرخ في أرجاء القصر أريدها يا أبي.. هي فقط.

طمأنه الشيخ غانم وأخبره بأنه سياتي بها له مهما كلفه الأمر

* * *

"في الحقل"

غادر الحاج محمد بيته وذهب إلى الحقل بعد إصرار عشق عليه ليصطحبها معه، رأت رجلًا يبدو عليه الوقار والهيبة أتيا على حصانٍ أسود يقف له كل من رآه، يجري وراءه اثنان من الحراس وكان مشهدًا يثير الخوف في النفس

سألت عشق من هذا يا أبي.

- إنه الشيخ غانم يا عشق....

- اتجه غانم إلى الحاج محمد يخبره بأنه يريد محصوله هذا العام ليس بيد محمد شيئًا سوى الموافقة على طلب غانم وقفت عشق في وجهه وقالت لن تأخذ محصول أبي هذا العام.

- قال غانم من أنت؟

- أنا عشق الزمان ابنة الحاج محمد.

- حسنًا من سيمنعني من أخذ المحصول؟

- أنا

- أنتِ؟! وضحك ضحكة ساخرة متعجبًا من رد عشق.

- أجل أنا، أنا رجل أبي ولست ابنته فقط.

اندهش الشيخ غانم، كيف لفتاة صغيرة أن تقف في وجهي ولم يجرؤ أقوياء القرية من الرجال فعل هذا الشيء فانصرف هو وحراسه.

- ماذا فعلتِ يا عشق؟! هل تعلمين من هو؟!

- أجل يا أبي إنه طاغية.

ذهب غانم إلى القصر كيف لفتاة صغيرة أن تقف في وجهي وإن لم يجرؤ أحد على التحدث عند مروري في الطرقات، أريد أن أعرف ما حكاية تلك البنت وما مصدر القوة في عينيها الصغيرتين...

- ياحراس؟ ائتوني بها أينما كانت لتعتذر مني..

بالفعل ذهب الحراس لبيت الحاج محمد ولكن عشق رفضت أن تأتي معهم ذهب الحارس وأخبر سيده بأن عشق رفضت المجيء، نادي غانم ابنه مالك بأن يذهب ويأتي بالفتاة.

- حسنًا يا أبي.. دق الباب فتحت له عشق وهنا اللحظة الفاصلة في حياة مالك متسائلًا هل هي نفسها؟!! ماذا تفعل هنا؟!

تكلم مالك بصوت هادئ أبي يريد أن يرى عشق....

- أنا عشق...ولكن من أنت؟!

- أنا مالك ابن الشيخ غانم أريدك أن تأتي معي.

- لا لن أذهب وأخبر أباك بأنني لا أريد أن أراه مهما بلغت قوته فلنا الله.

ذهب مالك لأبيه وأخبره بما دار بينه وبين الفتاة وأنها لا تريد أن تراه

- حسنًا يا مالك سأذهب إليها بنفسي.

- أريد أن أخبرك بشيء يا أبي.

كان مالك يريد أن يخبر أباه بأنها نفس الفتاة التي رآها.

- في وقت آخر يا مالك أنا على عجلة من أمري، غادر غانم متجهًا إلى بيت عشق وهنا المفاجأة أخبر والدها بأنه يريد أن يتزوجها وقف الحاج محمد والدهشة تملؤه، كيف كيف لشيخ عجوز أن يطلب يد فتاة في العشرين من عمرها؟ وعلى الجانب الآخر سليم ابن أخيه الذي يحب عشق منذ طفولتها وكيف سيخبر عشق بذلك الخبر؟

وقفت عشق لما أخبرها أبوها وطلب غانم يدها وقالت أنا ابنتك يا أبي ولست محصولك لتفرط به وإن كنت لا تقوى على الوقوف أمامهم فأنا أقوى دع الأمر لي.

- أخاف عليك يا عشق من ظلم الطاغية...

- اطمئن يا أبي فأنا رجلك ولست ابنتك.

* * *

"في قصر غانم"

لم يعلم غانم ما يخبئه القدر له عند دخوله للبيت رأى مالك يجلس مكتئبًا

- ما بك يا مالك هل تعلم لقد تقدمت لطلب يد الفتاة من أبيها، أنا سعيد يا مالك.

- ماذا تقول يا أبي؟!

- أظن أنني أحببتها يا مالك، يوجد في عينيها شيء غريب يجذبني إليها أجهله برغم صغر سنها، لم يعلم غانم بأنها نفس البنت التي اختارها مالك أيضًا، غادر مسرعًا من القصر يستشيط غضبًا من أبيه، أنَّى لرجل هرم أن يحب فتاة صغيرة وأنا الأحق بها.

ذهب مالك لبيت عشق ليرى أباها ويطلب يديها منه وجد الباب مغلَّقا من الخارج وأخبره جار الحاج محمد أنهما غادرا إلى مدينة أم عشق لإحياء الذكرى السنوية، جن جنون مالك فقد كان يرغب أن يري عشق ليعترف بحبه لها وأنه الأحق بها وليس من حق أحد أن يفرق بينهما حتى لو كان أباه...

* * *

ليلة بكى فيها القمر

"في القطار"

عشق جالسة بجانب أبيها حزينة

- ما بك يا عشق؟

- لا أعلم يا أبي منذ أن أضعت الحجر وهناك شعور غريب يطاردني ولم يعرف الفرح لي عنوانًا، هل العجوز كان محقًّا، جاءت امرأة عجوز تقرأ الودع في القطار كما يدعون وكما يقولون كذب المنجمون ولو صدفوا لكن عشق كانت مغرمة بتلك القصص، وقفت أمام عشق وقالت لها أعطني يدك يا صبية أقرأ كفك، فأعطتها عشق يدها نظرت العجوز إلى عشق ولم تخبرها بما رأته وغادرت وبعد مرور وقت قصير خرج القطار عن قضبانه انقلبت عربات القطار ومات الجميع وفيهم والدها الحاج محمد، لكن نجت عشق بأعجوبة من ذلك الحادث.

هذا الذي رأته العجوز ولم تخبره به فقدت عشق ذاكرتها بسبب ذلك الحادث الأليم الذي فقدت فيه أباها، تساءل الأطباء فيما بينهما كيف نجت تلك الفتاة الصغيرة من هذا الحادث المؤلم؟ أجل إنها مشيئة الله وهنا

يتدخل القدر ويتعرف على عشق أحد زوار المرضى بالمستشفى إنه كان جار والدتها ويعرف أين يسكن جدها

* * *

"في قصر غانم"

مالك كان حزينًا مكتئبًا لا يعرف النوم عينه منذ غادرت يفكر أين هي وما هو حالها، قرر مالك أن يذهب إلى بيت جد عشق وبالفعل ذهب مالك ليرى عشق وجدها تجلس بجوار شيخ هرم يحكي لها بعض القصص والحكايات استغرب مالك من موقفها تجاهه رغم مقابلة عين كل منهما للآخر لم تتعرف عليه وهو يجهل أيضًا أنها فقدت الذاكرة حيث دنا منها ومن العجوز يسأله ما بها فرد عليه جدها أن المسكينة فقدت ذاكرتها وأباها في حادث قطار، حزن مالك لما سمعه عن حالة عشق سأله جدها:

- من أنت يا بني؟

- أنا مالك يا جدي جار عشق خذلني قدري مرة ولم أستطع أن أبوح إليها بحبي لها منذ رؤيتي لها للمرة الأولى ولكنني أتعهد أمام الله وأمامك لن أفلتها من يدي هذه المرة فأنا أحبها بل أعشقها ولا أستطيع أن أعيش بدونها فليس هناك مالك إن لم يكن هناك عشق.

عشق ومالك مثل الشمس والقمر وبدون القمر لن تسطع الشمس فأنا الشمس وهي قمري في عتمتي، أخبرني يالاجدي هل هناك شمس بدون قمر؟

- حسنًا يا بني عشق لك اعتنِ بها وبقلبها.

* * *

"في شرفة المنزل"

- مالك: كيف حالك يا عشق؟

- من عشق... أنا فاطمة.

يسال مالك جدها من تكون فاطمة يا جدي فيجيب عليه أنها والدتها

- حسنًا كيف حالك يا فاطمة؟

- بخير.. من أنت؟

- أنا أدعى مالك فقدت شيئًا غاليًا وقد عدت لأسترده ولكن أحتاج مساعدتك.

- أنا!! كيف أساعدك؟

- حسنًا سأحكي لكِ حكاية، كان هناك شاب يحب فتاة لا يعرف لها عنوانًا ولا اسمًا حب من النظرة الأولى حاول بشتى الطرق أن يعترف لها ولكن التيار كان ضد اتجاهه وفي يوم كانت الفتاة تسير وهو كان يراقب فسقط

منها شيء، سلسلة بها حجر أزرق ولكن الشاب لم يعد إليها ممتلكاتها وقرر أن يحتفظ به كان هناك شعور غريب ما بين قلبه والحجر وأن الاحتفاظ به سيجعها بالقرب منه.

- حجر؟ أجل حجر يا عشق، أقصد يا فاطمة.

- حسنًا وماذا حدث؟

- تعرضت حبيبتي لحادث.. عند كلام مالك مع عشق بدأت عشق تتذكر ما تركته وراءها وبالفعل نجح مالك بأن يجعل عشق تسعيد ذاكرتها ولكنه نجاح مؤقت، أعطاها السلسلة ترتديها في رقبتها ومر اليوم.

* * *

"في الصباح"

خرجت عشق واتجهت إلى بحيرة صغيرة وهي عادة تحب المياه منذ طفولتها، شردت عشق لبضع دقائق فانطلق الحجر تحت قدمها سقطت في المياه رغم محاولات مالك في البحث عنها لم يجدها ولكن أخبره قلبه بأنها تحب المياه فمن الممكن أنها ذهبت عند البحيرة لتشم هواءً نظيفًا خاليًا من المرض وبالفعل ذهب مالك وجد السلسلة معلقة على حافة جذع شجرة مقطوع على حافة البحيرة وهنا تحقق تبين العجوز الذي أخبرها من قبل أنها ستسقط في المياه ويأتي بطلها لإنقاذها..

أنقذ مالك عشق من الغرق وعند اصطحابه لها مع تيار المياه اصطدم رأس عشق في حجر كبير.. أخرجها وذهب بها إلى المستشفى.. أخبره الطبيب أنها ستستعيد وعيها بعد بضع ساعات، انتظر مالك ليطمئن عليها.

وهنا اللحظة الفاصلة وهي لحظة استعادة عشق ذاكرتها وأول طلب لفظت به عشق أن ترى من أنقذها من الغرق هنا فوجئت برؤية مالك قبل أن تعرف أنه هو شعرت بالغضب بسبب أبيه الذي سلب حق أبيها وأرضه رغمًا عنه، طلبت من الطبيب أن يخرجه فورًا من الغرفة، لا تريد رؤيته. ذهب مالك بعد الاطمئنان عليها، وذهبت إلى منزل جدها لتودعه أيضًا لتعود إلى القرية مكان ولادتها حيث أنها اشتاقت لبيتها والمكان الذي يعج برائحة والدها المتوفى.

ستذهب لتبحث عن راحة بالها المفقودة وأصبحت حائرة بين سليم ومالك وأبيه الشيخ غانم، كيف وضعها القدر في مأزق، سليم يكون ابن عمها وصديق طفولتها غانم شيخ ظالم أما مالك فكانت دقة قلبها الأولى له وواحدة ولكنها تهرب من قلبها خوفًا من أن تقع تحت رحمة الحب خوفًا من دقات قلبها التي تؤذيها ففرت هاربة إلى روايتها ومدوناتها

* * *

خلدت عشق للنوم لتأخذ قسطًا من الراحة رن هاتفها كان طبيب وجدان أخبرها بأن وجدان قد وضعت مولودًا وقد استعادت وعيها وتريد أن تراها، ذهبت عشق لترى وجدان...

كانتا تشتقان لرؤية بعضهما البعض، قالت وجدان لعشق: اقتربي أريد أن أقول لكِ بعض الكلمات في قلبي.

اسمعي يا عشقي

أريد أن أخبرك بشيء، طالما رأيت فيكِ ابنتي ووجدت في حضنك مأمني برغم صغر سنك طالما أحببتك وكنت أريد أن أبقى معك في كل وقت وكل حين لكن قدري له كلمة أخر، أريد أن تعاهديني بأن تأخذي ابنتي اجعليها تشبهك في كل شيء، سميتها مريم على اسم ابنة أخي لكن أتمنى أن لا يصبح حظها مثلها.

حسنًا أعدك بأننا سنربيها سويًا، بعد لحظات غادرت روح وجدان إلى ربها وأخذت عشق مريم معها إلى البيت لتصبح ونسها الوحيد، سمعت عشق جرس الباب وكان سليم الطارق جاء يواسي حالة عشق بعد رحيل أبيها.

- استمع إليَّ يا سليم أعرف أن ليس في قلبك سواي ولكن قلبي لا يحمل مشاعرًا تجاهك يا صديق طفولتي.

غادر سليم بيت عمه يملأ الحزن قلبه وأصبحت الكآبة تخيم على المكان... بعد رحيل سليم تذكرت عشق الحجر الذي بحثت عنه كثيرًا ولكنها فقدت الأمل في أن تجده، نظرت في وجه الطفلة رأته مرآة تعكس القراءة الموجودة بداخلها التي سلبها الزمن منها، رأت طفولتها تُعاد أمامها مرة أخرى، تمنت عشق أن يعود الزمن بها لتعود طفلة حيث تصبح خالية من هموم الحياة.

* * *

"في القصر"

- غانم: يا مالك أريد أن أذهب إلى عشق إن كانت تريد شيئًا، وافق مالك أباه على وجهة نظره وبالفعل ذهب غانم لرؤية عشق.

فتحت عشق الباب

- السلام عليكم يا عشق

أريد أن أعرف رأيك فيما أخبرته لأبيكِ من قبل، قاطعت عشق كلامه وأخبرته بأنه في سن أبيها، غادر غانم ووجهه مرسوم عليه الغضب وأنها كيف أصبحت قوية بعد موت أبيها.

* * *

في ليلة مكتملة البدر، ليلة هادئة والسعادة تملأ الأجواء ورائحة أبيها يعج بها المكان رفعت يدها للسماء وخاطبت قدرها

"يا قدري

السلام عليك وعلى قلبك أينما كنت يحميك ربي

استمع لي، إليك كلماتي أيها القلب الغائب أينما كنت، اطمئن فليلحقك دعائي أينما كنت ولو على درب من الشوك

سلام الله على قلب يبكي وليس له غير الله ودواؤه في القرب وكان البعد قدره"

خلدت عشق للنوم رأت في منامها فارسًا بلا جواده ضل الطريق يحمل في يديه حجرًا يشبه الذي ضاع منها وأهداه لها واخبرها بصوت حزين" يا عشق أنا معك أينما كنتِ" أفاقت من حلمها والفزع يملأ وجهها ودعت الله بأن يرد لهفة قلبها

* * *

عاد بعدما خاب ظنه بأنه سيتزوج من عشق وأخبر مالك بأنها لم توافق على طلبه، فرح مالك من داخله ولكن لم يستطع أن يظهر فرحته كي لا يغضب أباه.

أصبحت عشق وحيدة مسؤولة بطفلة صغيرة، كانت عشق حزينة، كيف ستلبي طلبات الطفلة، فقررت أن تعمل وأن توافق بين عملها وجامعتها، ذهبت إلى الحاج إبراهيم والد أمنية صديقتها تخبره بأن يجد لها عملًا

وبالفعل لبى طلبها وأخبرها بأنه سيخبر مديره وأنه شاب طيب القلب خلوق وأنه يخبرها برده وإن شاء الله سيجيب بالموافقة، استأذنت عشق بالرحيل عند عودتها للمنزل، وجدت الرجل العجوز ينادي عليها حيث فرحت وشعرت بأن روحها ردت لها من شدة الفرح وأنه بمثابة الأمل لها.

- أعطني يدك يا عشق.

لأول مرة ترى عشق ابتسامة العجوز وعندما سألته عن سر ضحكته أخبرها بأنه يراها عائدة في ثوب جديد

- أرى فارسًا يا عشق يأتي إليكِ مهرولًا وأنتِ فاتحة له ذراعيك.

غادرت عشق وتركت العجوز وراءها تفكر في كلماته التي وقعت عليها كالصاعقة ومن هو الفارس الذي أخبرها عنه؟ وعندما عادت إلى البيت وجدت بريقًا يلمع في سمائها وأملًا جديدًا يدعى مريم، الطفلة الصغيرة التي تركتها وجدان معلقة في رقبتها وجدت رسالة على هاتفها في الصباح من الحاج إبراهيم بأن المدير يوافق أن تعمل عشق في الشركة، فرحت بالرسالة فإذا بجرس الباب يدق وكان مالك الطارق.

- لماذا أتيت إلى هنا يا مالك؟!

- أتيت لأطمئن عليك يا عشق.

كيف حالك ولماذا تعاملينني بهذه الطريقة؟

لم تجب عشق على سؤال مالك ولم تُرِح قلبه: اذهب يا مالك لا أريد أن أراك.

غادر مالك حزينًا ودموعه على خده من قسوة ردود عشق عليه، قفلت عشق الباب وخاطبت نفسها أنا فعلًا أحبك يا مالك لكن كيف أخبرك لا أستطيع أن أكون سبب مشاكلك مع أبيك ولا أريد أن يقول الجميع أنني تزوجت بك لثرائك، لكن سأعود يا مالك بعد تحقيق كيان عشق وعلى الجانب الآخر مالك يتكلم ومع نفسه ويقول إني أحبها يا الله ما سبب كرهها لي؟!"

ذهب كل منهما في طريق مختلف والسؤال هنا:

هل مالك وعشق سيجتمعا أم سيصبح مصيرهما مثل يوسف ومريم؟

يملؤه الأمل وعشق في إطلالة جديدة بثوبها الفضفاض تذهب إلى عملها الجديد كان مديرها يدعى "جمال" عند قدوم عشق إلى غرفة المدير كان سؤال جديد يدق على باب قلب جمال وكانت الإجابة هي عشق عندما رآها.

لأول مرة تخطف فتاة أنظاره وقلبه، أعجب بجمالها وحيائها، أثبتت عشق بأنها تستحق العمل ويومًا بعد يوم تظهر كفاءتها ويزداد إعجاب جمال بها.

ذهب إليها إلى مكتبها ليلتقي بها وأثنى على عملها الجاد، وقفت عشق لتبادله السلام.

- كيف حالك يا عشق؟

- بخير...

- حسنًا أخبريني..

ما هو سبب تسميتهم لك بهذا الاسم؟

- سأخبرك "أبي كان يحب أمي قبل زواجهما وبعد الزواج أنجبتني بعد عشر سنوات لأن أمي كانت تواجه بعض المشاكل في الرحم فسميت عشق فأنا عشق أبي الراحل الذي عشق وأكثر بعد رحيل أمي، لم يكن لديه غيري والآن ليس لي أحد بعده إلا الله كان سندي عكازي.

- أنا آسف يا عشق لم أقصد أن أؤلمك.

- اعتذر جمال عن سؤاله الذي شعر بعد طرحه بالخجل، وجد ملامح عشق قد تغيرت وغادر المكان مقدمًا عذره.

جاءت أمنية لترى عشق ولكن كان يبدو عليها القلق والحيرة.

- عشق: ما بك يا أمنية؟

- أخبريني يا عشق ماذا كان يفعل جمال هنا؟ أقصد أستاذ جمال.

- لا شيء يا أمنية... لماذا أنتِ حائرة لتلك الدرجة؟ أخبريني ما علاقتك به؟

- أحبه يا عشق منذ قدومي إلى هنا ولكنه لم يشعر بي يومًا.

- الله يهدي ضلال قلبك ويجعله خير ويقدمه لكِ ولا يؤذي قلبك في محبوبك.

اطمأنت أمنية بعد سماع كلمات عشق وانصرفت إلى عملها.

تساءلت عشق لماذا عندما أذهب إلى أي مكان يقع في غرامي أحد، هل جمالي نقمة أم نعمة؟

هل أصبح الحياء في ذلك الزمان عملة نادرة يبحث عنها كل شاب؟

لماذا اختصني الله بالجمال وما حكمته؟

عادت عشق للبيت وجدت رسالة متروكة تحت عقب الباب مكتوبًا عليها: "الحجر" أخذت القطعة الورقية احتفظت بها وبدأت تتساءل ما معني الحجر؟! حيث عادت بالذاكرة للوراء وتذكرت السلسلة الذي أهداها إليها العجوز وفقدت الأمل في إيجادها، قطع حبل أفكارها بكاء الطفلة، كان يبدو أنه بكاء غير عادي بكاء ممزوج بآهات المرض، ذهبت عشق بمريم إلى المستشفى وأخبرها الطبيب أنه يجب حجز الطفلة تحت المراقبة لأنها تعاني من ثقب في القلب وقد يشكل هذا خطرًا على حياتها، حلقات الحزن تتواصل وتتزايد على عشق، تفيق من صدمة تتبعها الأخرى لماذا الحياة ظالمة معها وقدرها غير منصف؟

على الجانب الآخر لم تذهب عشق إلى عملها لمدة سبعة أيام، قلق جمال وسأل عنها أمنية لكن أمنية أيضًا لا تعرف شيئًا عنها، تضايقت أمنية من سؤال جمال عن عشق وقالت لنفسها هل أبدو قبيحة في نظر جمال لتأتي عشق منذ أيام قليلة وتخطف قلبه لتلك الدرجة، مواقف جمال مع عشق تتزايد في عقل أمنية وتكثر التساؤلات وأيضًا زادت حيرة جمال شكوك أمنية وهو يتساءل لماذا عشق عائلة؟ وأسلوبه المضطرب مع الموظفين وعصبيته في الرد عليهم أقلقت أمنية خاصة عندما ذهب جمال لأبيها "الحاج إبراهيم" على غير عادته يسأله عن عشق.

- قل لي يا عم إبراهيم أتعرف شيئًا عن عشق؟ ولماذا لم تأت إلى العمل منذ مدة؟

- لا يا أفندم..

- حسنًا...

* * *

"منزل عشق"

سمعت عشق جرس الباب وعندما فتحت لم تجد أحدًا ولكن وجدت رسالة تحت قدمها مكتوبًا عليها "ستكونين لي يا عشق" عادت إلى النوم وجدت

رسالة واحدة على هاتفها كانت من جمال يخبرها أنه يريد أن يطمئن عليها لكن حزنها كان تأثيره أكبر عليها من الرد على رسالة جمال حيث غلبها النوم.

في الصباح قررت عشق أن تذهب إلى عملها خاصة أن علاج الطفلة يحتاج إلى مال وبالفعل تتحدى عشق حزنها من أجل الطفل هذه المرة، فرح جمال لرؤيتها كان فرحه ممزوجًا ببعض نظرات العتاب وأمنية تحمل مشاعرًا متناقضة، من ناحية تحب عشق ومن ناحية تحقد عليها بسبب حب جمال لها، عندما نظرت عشق لوجه أمنية وجدت عليه الكثير من التساؤلات، اتجهت عشق لمكتبها هاربة من تساؤلات جمال ونظرات أمنية.

جاء سؤال غريب على لسان أمنية وموجهًا لعشق، كان يبدو على وجه أمنية السخرية.

- هل تعلمي يا عشق جمال كان قلقًا عليكِ وأنا لم أره في تلك الحالة من قبل أخبريني ماذا فعلتِ له وما الطريقة التي جعلت تركيزه معك فقط أخبريني؟

كانت حزينة من سؤال أمنية وأن قلبها بما فيه من أوجاع ليست في حمل أن تزيده وجعًا جديدًا.

- استمعي إليَّ يا صديقتي أنا لست بخير وليس هناك شيء بيني وبينه أعترف أنه يبادلني نظرات لا أفهمها، قطعت أمنية كلام عشق:

- أجل أنتِ لا تفهمينها لكن أنا أفهمها جيدًا يا عشق.

- أنا لا أعلم بما يخالج قلبه لي لكن ليس في قلبي له شيء يا أمنية أنا واثقة من مشاعري.

اتكأت عشق على المكتب، لا أحد يشعر بها ولا بما يخالج قلبها من حزن عميق وقالت لنفسها لست في حال جيد أعلم أن أمنية غاضبة لكن ليس لي يد في غضبها وأعلم أن جمال معجب بي لكنه لا يحبني هو فقط معجب بجمالي لكن أمنية تحبه من كل قلبها يا الله لا أعلم ماذا أفعل لكن أدعوك من كل قلبي أن ترد حب أمنية لها وأن تجعل جمال لا يفكر في غيرها فأنا اكتفيت بحب مالك.

فجمال يطمع في حيائي...

وغانم يطمع في جرأتي...

وسليم يحبني منذ طفولتي ولكنني لا أبادله ذلك الشعور...

أما عن مالك فهو حبي الوحيد ولكن ليس لي جرأة أن أحبه فاكتفيت بمسؤولية الطفلة....

جاء جمال ليخبر عشق بما يخالج قلبه

- اسمعي يا عشق أنا أحبك منذ رؤيتي لك لأول مرة ولكن لم أستطع أن أخبرك من قبل، قبل أن أتأكد من شعوري تجاهك، قررت عشق أن لا تترك طريقًا مفتوحًا لجمال أو لحبه لها فقررت أن تقول له:

- أنا لا أحبك ولا أحب أحدًا ليس في قلبي شيء لك سوى الاحترام.

غادر جمال حزينًا من رد عشق عليه.. يتملك الغضب من قلبه متسائلًا كيف لفتاة مثل عشق فقيرة ترفض رجل أعمال مثلي؟! ما بها تلك الفتاة وأعترف أن هذا ما يجذبني لها، ليست طامعة في شيء، مكتفية بنفسها وبقليها، لماذا أحب عينيها ولماذا أرى رؤية الحزن في عينيها تفقدني صوابي؟ لماذا تبدو على ملامحها ملامح طفلة؟

غضبت عشق من موقف أمنية، ما زلتِ تلوميني على اهتمام جمال بي وأنا ليست لي يد فيه، حزنت عشق، أهناك أحد يفهم كلامي؟ يشعر بحزني؟

عند خروج جمال من الشركة وهو حزين تعرض لحادث وأيضا ألقت أمنية اللوم على عشق، لم تجب عشق على أمنية في اتهامها لها وغادرتا في صمت متجهتين إلى المستشفى لرؤية جمال وبرغم محاولة أمنية في إلقاء اللوم على عشق عذرت عشق أمنية وخوفها وقلق قلبها على جمال.

غادرت عشق المستشفى لتأخذ قسطًا من الراحة في بيتها وأيضًا لم يدق النوم باب عينيها فأخذت مذكراتها وفتحت يومياتها وكتبت:

"بسم الله أبدأ بما هو كائن وبما هو سيكون فالله يفعل ما يريد....أما بعد،

يأتينا الحب أحيانًا كالضيف، ينتظر أن نقابله بشكل جيد أو يغادر ويذهب بعيدًا وحين يرحل لا يأتي، هناك شخص يحبك لذاتك وشخص يحب روحك وحب يصعب كسره الحب الصادق يدق القلب مرة وإن لم نفتح يفر مسرعًا وهنالك حب لا يمل فيدق آلافًا مؤلفة، عددًا لا نهاية له، وفي بعض الأحيان نقابل الشخص الخطأ، ولكل تجربة ندفع ثمن الاختيار ومثلما نجد حبًّا يقوي البنيان هنالك ما يجعل الجدار هشًّا.

* * *

"في المستشفى"

- أمنية: أخبرني يا دكتور كيف حال الأستاذ جمال؟

- ليس بخير للأسف قد تعرض إلى شلل في أحد أطرافه ولن يستطيع الحركه.. صدمت أمنية لما سمعته وقررت أنها ستقف بجانب جمال في محنته فليس بجانبه أحد من أهله اتصلت عشق بأمنية تسألها أين هي، لم تستطع أمنية التحكم في دموعها وقالت: لقد شل جمال يا عشق، حزنت عشق وظلت صامتة لدقائق قليلة، اتجهت إلى غرفة العمليات لترى أمنية لتقف بجانبها وتساندها، أخبرت عشق أمنية أن تظل بجانبه وأنها ستتابع عمله في الشركة حتى يرفع عنه الله البلاء، ذهبت عشق إلى الشركة بعدما

أخبرها الطبيب أن جمال لن يفيق، باشرت العمل بنفسها ليكون جزءًا صغيرًا من المعروف الذي أسداه إليها جمال من قبل وهو أن تعمل سكرتيرة خاصة له برغم قله خبرتها، بعد انقضاء مدة العمل قررت أن تذهب مرة ثانية تطمئن على أمنية وعلى جمال وعندما رأت أمنية عشق ارتمت أمنية في أحضانها مثلما كانت تفعل من قبل.

- لا تحزني يا أمنية ثقي بالله وهو قادر على كل شيء، جاءت الممرضة تخبرها أن جمال قد استعاد وعيه ويريد أن يراهما، أقبلت أمنية وعشق ونظرات جمال متمركزة فقط على عشق لدرجة لفت بها نظر أمنية حتى اشتعل الغضب والحزن في قلبها، لاحظت عشق نظراته ونظرات أمنية لها وقاطعته بسؤال:

- كيف حال المدير اليوم؟

- بخير يا عشق.

- هل تعلم أن أمنية ظلت بجانبك طوال الليل...

- حقًّا يا أمنية؟!

- أجل يا جمال عفوًا.. أستاذ جمال.

استأذنته عشق بالرحيل، أذن لها وظلت نظراته ترافق عشق حتى خروجها من الباب والحزن يأكل قلب أمنية.

"في قصر غانم"

يأتي الحارس يخبر مالك أن حصانه مريض، ذهب مالك إلى الحظيرة ليطمئن عليه وجده ملقًى على الأرض.

مخاطبًا له يقول: ما بك يا أصيل كان حصانه يدعي أصيل

يا أصيل ليس لي أحد غيرك وغير عشق، عشق قد فارقتني فلا تفارقني أنت أيضًا، يبكي مالك وتسيل دموع الحصان حزنًا على صاحبه وبكائه الحار الذي يذيب القلب"

مرت ثلاث ساعات وفارق أصيل الحياة، غادر مالك إلى القصر وجد أباه جالسًا وأخبره أن أصيل قد فارقهم.

- الشيخ غانم: ماذا تقول يا مالك؟!

- أجل يا أبي فارقتني عشق وفارقني أصيل.

- عشق؟ من أين تعرفها وكيف فارقت؟

- أجل يا أبي أنا أحب عشق، هي تلك البنت التي أخبرتك عنها منذ رؤيتها الأولى وأنا أحبها يا أبي.

- ماذا تقول يا مالك؟!! ولماذا لم تخبرني؟

غادر مالك ولم يجب بكلمة واحدة على أسئلة أبيه..

"في الشركة"

ذهبت عشق لعملها فوجدت أمرًا غريبًا وهو شخص يجلس مكان المدير وعندما سألته:

- عشق: مرحبًا بك من أنت؟

- أنا محمد أخو جمال جئت أباشر عمل أخي.

- حسنًا... لم يطمئن قلب عشق لمحمد ونظراته، أصاب الشك قلبها، يظهر عليه الغرور والتكبر.

خرجت عشق من مكتب المدير غاضبة من تساؤلات محمد المتكررة ونظراته لها، تابعت عشق عملها مر الوقت كان بطيئًا جدًّا على عشق تمنت أن ترحل سريعًا، استأذنت محمد بالدخول، فأذن لها وأخبرته أنها قد انتهت من عملها وتريد الرحيل لكنه رفض وأعطاها عملًا آخرًا تقوم به، عندما سألته أن تأتي باكرًا لتنجزه رفض أيضًا هذا الطلب، كان شديد الطبع معها صعب المراس، لم يكتف بهذا العمل فقط بل أخبرها أنه يريد ملف العمال الموجودين في الشركة ليقوم ببحثهم وينهي عمل من لا عمل له ساخرًا:

- جمال كيف يمنح وظيفة لأناس لا يستحقون الحياة، غضبت عشق من طريقته وكلامه ونفذت كل ما طلبه منها دون إبداء أي رأي تجاهه، كانت تريد

أن ترحل لتذهب إلى المشفى لتري الطفلة الصغيرة ولكن لم تتح لها الفرصة حيث انتهت من عملها بعد انتهاء دوام المشفى، فقررت أن تذهب لها غدًا.

وهنا تأخذ قصة عشق مجرًى آخرًا في حياتها، عشق البنت الفقيرة التي وقع في غرامها أسياد وملوك، التي أصبح جمالها نقمة عليها يجلب كل غريب بحياتها ويطمع كل عابر سبيل في نظرة من عينيها، عشق التي ملت من البحث عن فارس أحلامها الذي أخبرها عنه العجوز.

عند عودتها إلى البيت وجدت وريقة صغيرة تحت الباب للمرة الثالثة مكتوبًا عليها "رحلتِ ثم رحل بعدك أصيل" لم تفهم عشق المضمون كعادتها عند قراة الوريقات الصغيرة وتساءلت من هو أصيل؟!

ثم أخذت نفسًا عميقًا وخلدت إلى النوم.

* * *

"في المشفى"

قررت أمنية أن لا تنتظر أكثر لتأتي الفرصة المناسبة لتخبر جمال بحبها عندما قررت إخباره وأوشك لسانها على النطق دق الباب وكان محمد الطارق وقاطع كلام أمنية قال محمد لجمال:

- من هي عشق إنها لمغرورة وبلهاء.

غضب جمال من كلام أخيه عن عشق إنها ليست كما يقول عنها إنها جميلة وخلوقة لماذا يقول عنها محمد مثل هذا الكلام وأخبره أنها بريئة كالأطفال ولكنه تسرع في الحكم عليها وعلى الجانب الآخر أمنية جالسة حيث استغربت طريقة كلام الشابين خاصة أن عشق محور كلامهما، لماذا عشق في كل شيء؟! استأذن محمد بالرحيل بعد اطمئنانه على أخيه.

عاد محمد إلى الشركة حيث عشق كانت جالسة على مكتبها رآها محمد من خلف الجدران الشفافة يبدو عليها الإرهاق والتعب عندما رآها وسأل:

- من تلك الفتاة؟ ولماذا جمال كان يدافع عنها؟ ما قصتها؟

أخبر عشق أنه يريد فنجانًا من القهوة، أخبرت عمها إبراهيم أنها ليست بخير فليأتي بالقهوة مكانها ويقدمها للأستاذ محمد وعند دخول إبراهيم عليه سأله عن عشق أخبره أنها ليست بخير وأخبرتني أنك تريد القهوة فأتيت بها هل من شيء آخر يا أفندم؟

- لا يا عم إبراهيم... انصرف إبراهيم وتعجب محمد من تصرفها تجاهه متسائلًا هل هي فعلًا متعبة أم عن قصد لم تحضر لي القهوة؟

أم هي حقًّا ليست كأي فتاة كما يقول عنها أخي جمال؟!

لا لا ماذا يحدث لي لماذا تشغل تفكيري، إنها مجرد سكرتيرة فقط.

لا لا ليست سكرتيرة فقط لماذا يفرح قلبي لرؤيتها تضحك؟! ولماذا يعبس وجهي لرؤيتها حزينة؟! ما هذا الإحساس الذي يخالج قلبي لأول مرة؟!

رن هاتف عشق ومحمد يتابعها من بعيد كان طبيب الطفلة المتصل يخبرها أنه يريد أن يراها في أسرع وقت ممكن نهضت عشق من مكانها دون فرصة الاستئذان من محمد فخرجت مسرعة وأيضًا نهض محمد من مكانه لرؤيتها تنهض سائلًا ماذا بها وماذا حدث؟!

يقول الطبيب بأن الفتاة ليست على ما يرام تحتاج إلى قلب، فقلبها ليس بخير ومعها أيام قليلة إن لم تجد قلبًا مناسبًا ستغادر الحياة، حزنت عشق أن أملها الوحيد يحتاج لنبض ومسؤوليتها التي تركتها وجدان لها، ظل محمد قلقًا في الشركة على عشق وظل هاتفها مغلقًا فزاد الشك في قلبه، كاد الحزن يمزق قلب عشق التي لم تجعل لها الحياة فرصة لتفرح.

رن هاتف محمد وكانت أمنية المتصلة تخبره بأن جمال سيغادر المستشفى ليلًا ويجب عليه أن يأتي ليصطحبه إلى البيت، أغلق الخط مع أمنية ولا يزال باله منشغلًا بعشق وأين ذهبت.

خرج محمد من الشركة وأخبر إبراهيم أنه إن أتت عشق يخبره، على الفور، ذهب ليصطحب جمال وكانت أمنية معهم للرجوع إلى البيت.

- محمد: أريد أن أخبرك شيئًا يا جمال.

- إني معجب بعشق

حزينًا في نفسه ولم يجب على كلام محمد كان جمال

وتقول أمنية في نفسها

- حتى أنت يا محمد لم تفلت من سحرها....

لم يمر الليل على عشق ولا أمنية ولا جمال حتى نار الحب لم يفلت منها محمد أيضًا جاء شبح الكآبة فاردًا جناحيه على الليل الحزين.

لم تعرف عشق من أين تأتي بالمال لإجراء عملية الطفلة، لم يمر الليل بأنيابه الخادشة تريد أن تنقذ شريانها الأخير "الطفلة" مر الليل انقضى ونثرت الشمس أشعتها على الأجواء الحزينة لتخبرها بأن هناك أملًا جديدًا يتجدد مع كل صباح ومهما طال الليل هناك صباح مشرق ينتظرنا.

* * *

في الشركة كان أول يوم يأتي جمال إلى الشركة بعد تعرضه للحادث، رحبت به عشق حيث كان محمد جالسًا بجانبه وبعدما ألقت التحية وعند مغادرتها لتكمل عملها أوقفها جمال وقال لها أريد أن أخبرك بشيء.

- حسنًا أخبرني.

- محمد أخي يحبك ويريد أن يتقدم لخطبتك، لم تسمح عشق لجمال ولم تعطه الفرصة رفضت طلبه وغادرت، أخبرت جمال بأنها لا تريد العمل في

هذه الشركة مرة أخرى ظنًّا منها أنها ستفقد صديقتها أيضًا، غادرت عشق وحزن جمال وسافر محمد وبعد مرور شهر علمت عشق بأن جمال قد تقدم لخطبة أمنية، فرحت من أجل صديقتها ودعت الله بأن يتم عليهما الأمر.

في الليل

فتحت عشق يوميات وجدان التي أعطتها لها قبل وفاتها وكان مكتوبًا في أول ورقه "الحب كالضيف يجب أن نكرمه حتى لا يمل منَّا سريعًا ويذهب بعيدًا" وكان في آخر الصفحة توقيعًا "مريمية"

قررت عشق ألا تصبح مثل مريم ولكنها تجهل بما يخبئه القدر لها وأنها ستصبح نسخة أخرى من مريم وأن هناك روح مفقودة في كل قصة حب مثلما هناك قصص مكتملة، هناك قصص مات بطلها.

دق جرس الباب كان"مالك" يبدو عليه الإرهاق وعينه دامعة.

* * *

ملكي ومالكي

- مالك.. ما الذي أتي بك إلى هنا؟

- لقد أتيت لأراكِ وأرد إليك هذا الحجر...

- الحجر... أين وجدته؟

- لقد سقط منك وأنا احتفظت به.

- وجدته... مالك هل أنت من أنقذني من الغرق؟

- أجل أنا يا عشق.

- يا وجعي، لماذا لم تخبرني؟

لماذا رضيت بذلك العذاب طوال تلك المدة؟

- لم تعط لي فرصة يا عشق كنتِ ظالمة معي كالحياة وأصبحت تكرهينني بسبب أفعال أبي وأنا ليس بيدي حيلة أخبريني يا عشق

هل ستتركين الضيف يرحل أم ستفتحين باب قلبك "لم تعلم عشق بماذا ستجيب عليه"

- لا أعلم يا مالك.

- أعطِني فرصة واحدة يا عشق واحدة فقط، ليس لي أحد بعدك وبعد رحيل أصيل.....

- أصيل!!

- أجل يا عشق حصاني كان يدعى أصيل ولكن أخذه المرض مني.

- أخبرني يا مالك، أنت من ترسل الرسائل الورقية كل ليلة؟

- لا يا عشق.

- لا!! من إذن؟!

من يعرف عنا كل شيء!؟

- حقًّا لا أعلم يا عشق.

- حسنًا يا مالك لقد تأخر الوقت ارحل الآن.

بعد رحيل مالك شعرت عشق بالدوار وأن هذا الموضوع تكرر من قبل، قررت الذهاب إلى المستشفى للاطمئنان على نفسها وما سبب الدوار الذي يتكرر من وقت لآخر، أخبرها الطبيب بأن لديها سرطانًا في الدم وأن أيامها قليلة، غادرت عشق المستشفى وقلبها ينبض بسرعة حزينة لم يصدقها ولا تصدق أذنيها لما سمعته منذ قليل، رأت العجوز يناديها.

- يا عشق الزمان أقبلي عليَّ أعطِني يديك. أعطته عشق يديها.

صمت العجوز لبرهة..

- يا عجوز لماذا لم تخبرني بأن أيامي أصبحت قليلة وأن وقت رحيلي قد حان أم ستخبرني بأني صورة مشابهة لمريم وأن الحياة لن تنصفني أيضًا.

تركت العجوز وراءها وذهبت في طريقها وعند فتحها للباب رأت رسالة مكتوبًا عليها "لن يمل الضيف من أن يدق الباب، لن يذهب مسرعًا فاطمئني" تعجبت عشق لما تقرأه، من الذي يعرف كل خطواتها؟!

وقفت قليلًا مع نفسها تقول والقلم يسطر ما يدور بداخلها هنالك وقت في حياتنا نجد أننا قد بلغنا من الضعف مداه وأننا بحاجة إلى أناس تربت على قلوبنا دون كلل أو ملل وينفخ فيما يأتي باحثًا عن اللون والشكل، نريد من يلمس روحنا أن يتركوا وردة على كل جرح.

في ذلك الوقت كانت عشق تحتاج قشة تنتشلها من غرق روحها والقشة كانت مالك.

هذه المرة سمعت صوت دق على الباب وجدته مالك بالفعل يخبرها بأنه يريد أن يتزوج منها، رفضت عشق بقوة لمعرفتها منذ قليل أن أيامها معدودة ولكن صمم مالك اضطرت عشق أن تخبره بحقيقة مرضها ولكنه رفض التصديق وأخبرها بأنها أكاذيب وأنه لن يتركها هذه المرة والحب الذي في قلبه أكبر من أي مرض يعارض جمعهما وسيقوما بإجراء الفحوصات مرة أخرى

وأنها بخير ليس بها شيء وتغرق عيناه في الدموع، رفضت عشق الذهاب إلى الطبيب مرة أخرى فإنها تكره المستشفيات والمرض والدواء طمأنها مالك وأخبرها أنها بخير وإن زاد تصميمه على أن يقضي الباقي من عمره معها.. بعد نقاش طويل استسلمت عشق لكلام مالك ووافقت على رغبته والزواج به.

تقول عشق "لقد استقبلت الضيف استقبالًا يليق به ولكن القدر أراد التفرقة بيننا"

قررت عشق قبل رحيلها بساعات أن تقدم قلبها للطفلة كعمل أخير في هذه الحياة وتنقذ حياة الطفلة بالفعل، لكن عشق لم تملك أي خيار لإنقاذ حياتها من السرطان، رحلت عشق عن تلك الحياة كما رحلت مريم.

توقف الزمن على رحيل عشق، ما عاد الزمان مقترنا باسمها كما سماها أبيها عشق الزمان وقرر مالك أن يعطي كل حق سلبه أبوه لأهله أصبح مالك وحيدًا بعد رحيل حبيبته يتجول على الطرقات يشكو لكل مار من ظلم القدر معه، اتجه إلى حلقات الذكر والتصوف "مالي غير عشق والآن رحلت فليس لي غير الله فهو باق"

وجد رجلًا عجوزًا يبكي.

- لماذا تبكي يا أبي.

- رحلت عشق الزمان.

- أنت تبكي على رحيل عشق لماذا؟ ومن أين تعرف عشقي؟

رد العجوز بكلمات يقف لها كل جالس احترامًا، كلمات يسطرها القدر على لسان العجوز مر بالكثير والكثير كلمات بكى الحجر عند سماعها وعبرت عن السماء ببكاء على هيئة مطر.

أنا عجوز قد سلبه القدر حبه، أنا عجوز يبكي على سوء حظه، أنا عجوز يطمع بأن يرضى عنه الله ويجمعه مع نصفه الآخر إن لم يكن في الدنيا يكن في الآخرة، أنا عجوز بلا حظ أخذه الموت مرة ولكن طمعت به الحياة أيضًا أنا عجوز أخذ القدر منه حبيبته، أنا يوسف قليل الحظ الذي رحلت حبيبته حزنًا عليه، قاطعه مالك:

- أنت يوسف.

- أجل، أنت تعرفني؟

- أجل عشق حكت لي قصة يوسف ومريم قبل رحيلها لكن قالت لي أنك تعرضت لحادث!!

- ليتني مت ولا أن أعيش تلك الحياة القاسية أنتظر ذهابي إليها، لقد نجاني القدر لأرجع إليها لكن عندما عدت علمت أنها رحلت بعيدًا.

لكن أخبرني يا بني لماذا أنت حزين ولماذا تغيرت ملامحك عندما أتت سيرة عشق؟

- أنا الجسد وعشق الروح فرحلت الروح فينتظر الجسد ميعاد رحيله أنا العطر وهي الوردة ذبلت الوردة والعطر أصبح قطرات بكاء، أنا مالك حبيب عشق"

- أين هي عشق؟

لقد رحلت عنا عشقنا يا أبتي وتركت مالك يعاني ويحكي قصته على الطريق وحده كما أصبحت أنت تحكي قصة حبك.

لقد تركت عشق معي الحجر الذي أهديته لها ووضعته في عنق مريم ابنة وجدان ستأتي إليك مريم يا أبتي يومًا ما موضوعًا في عنقها الحجر.

رحل مالك بعيدًا عن العجوز يحكي قصته لكل مار، أصبح الوجع الكلمة النهائية كلمة الختام في كل قصة حب أصبحت الآهات معروفة يدندنها كل حبيبين ليس الحب أن يجتمع كل من أحب الحب هو الاشتياق المتجدد عند كل فراق، أصبح يوسف منتظرًا مريم جديدة وأصبح مالك يبحث عن عشق في كل قصة... وتستمر المعاناة.

هل سيجتمع يوسف مع مريم ومتى سيقابل مالك عشق؟!

أصبحت أرواحنا عارية أمام الحب، وهل بالفعل أصبح الحب كالريح والعواصف؟ أجل عندما يغادرنا الحب نفقد كل ملذات الحياة وتفقد روحنا عاملًا أساسيًّا من مغذياتها كما أن الموسيقى غذاء الروح أصبح الحب غذاء القلب وبلا حب ليس هناك حياة، تصبح روحنا فارغة فتصبح أرواحنا عارية تنتظر الحب ليكسوها.

أصبح الحب صدفة نتمنى وقوف الزمان عندها فنتمنى أن نتحكم في عقارب الساعة كي لا تفوتنا تلك الفرصة عند أول نظرة وعند كل اشتياق...

أصبحت اللهفة مفقودة في كل قصة الآن وأصبح الحب شيئًا غير مرئي أمامنا نبحث عنه في كل مكان وألوان أصبح عملة نادرة كما أصبحت روحنا تشتاق وتشتاق حتى اتبعها الاشتياق أصبح النفاق والكره الكلمة العليا، الآن أصبح خيالنا المفر الوحيد من واقع مرير فرض علينا، أصبحنا نخلد للنوم ولا نريد الاستيقاظ هروبًا من الروتين المعتاد أصبح الزيف والخداع بداية كل علاقة الآن وتتوالي الضربات فنحلم حلمًا أكبر منًّا.

تمت..

* * *

هذه القصة حقيقية مع إضافة بعض من

الحب وتغيير أسماء الشخصيات

* * *

إهداء

لروح رحلت إلى السماء وما زالت روحي معلقة بها.

لجسد دفن تحت الثرى وما زلت أشم رائحته بين ثنايا جسدي"خالتي" .

لصديق غائب رحل جزء من روحي برحيله.

لقلب تمزق منذ رحيل أحبابه وتركوه يعاني يبحث عن طريق يجد به مأوى.

إلى صديقاتي "مريم.. آية.. زينب.. وسام"

إلى أبي وأمي دمتم خير سند.

إلى حبيب سكن روحي ولا يعلمه غير الله الغائب عن عيني الحاضر في قلبي

ولاء عماد.

* * *